

أولادنا

٤٦

# الطفلة المسنحيلة

تأليف : د. أميمة خفاجي



دارالمعارف

بطاقة فهرسة  
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية  
إدارة الشؤون الفنية

خفاجي، أميمة.

الطفلة المستحيله / أميمة خفاجي. - القاهرة: دار المعارف. ٢٠٠٧.

١٧٦ ص، ٢٠ سم. ( أولادنا، ٤٦ )

تبعك ٤ ٥٥٩ ٠٢ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - قصص الأطفال.

٢ - القصص العربية

٠١ - العنون

ديوى ٨١٣,٠٢

٧/٢٠٠٦/٥٧

رقم الإيداع ٢٤٦٠٥ / ٢٠٠٧

تنفيذ المتن والغلاف  
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات  
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع

هاتف : ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس : ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

## رسالة..!

الأسرُ أو الإعدام..

كلاهما يتساويان..

لكن...! كيف يكون هذا هو مصيرها وحدها، دون سائر  
فتيات العالم؟ بل كيف يحدث لها كل ذلك؟! وأدهم  
ما زال حيا على قيد الحياة...!!

كَانَ لَزَامًا عَلَيْهِ، بَلْ حَقًّا وَجِبَ عَلَيْهِ إِنْقَازَهَا. وَقَكَ  
أُسْرَهَا، وَإِطْلَاقَ سَرَاحِهَا مِنْ تِلْكَ الزَّنَانَةِ الَّتِي تَحْيَا فِيهَا  
حَيَاةَ الْفُتْرَانِ وَالْحَشَرَاتِ.

لكن..! كيف سيتسنى له تحقيق ذلك؟ وهي بكل هذا الحجم والوزن الهائل الضخم!! رغبة مدمرة.. تعتريه وهو يبذل قصارى جهده لتهريبها من المستشفى.

خرج أدهم.. تحمله أشجان على كتفها وكأنه طفل صغير..  
ورغم ضالة حجمه، وصغره، مقارنةً بها، إلا إنه كان كبيراً..  
شامخاً وهو يحقق خطته في تهريبها.. فظل يُرشدُها إلى  
الطريق الذي حدّده لتهريبها بكل دقة وبمنتهى الإتقان.





- كَلَّا.. لَيْسَتْ اعْتِرَافًا.. لَكِنَّهَا رِسَالَةٌ.. وَحُسْبٌ..  
فَلَيْسَ هُنَا مَا أَسْرُهُ عَنْكَ، وَأُخْفِيهِ يَا أَدَهْمَ لِأَعْتَرَفَ لَكَ بِهِ  
الْآنَ.. لَا تَفَرِّطْ فِيهَا يَا أَدَهْمَ.. وَلْتَقْرَأْهَا مَلِيًّا.. عَسَاهَا  
تَذْكُرُ بِي دَائِمًا فَهِيَ حَيَاتِي.. وَحَيَاةُ امْرَأَةٍ تَمْلِكُهَا  
غَرِيزَةُ الْأُمُومَةِ وَاجْتَا حَتَّتَهَا.. فَقَضَتْ عَلَى حَيَاتِهَا وَحَيَاتِي  
كَتَبْتُهَا بَعْدَ أَنْ قَرَأْتُ الْحَقِيقَةَ، كَمَا صَوَّرُوهَا فِي الصُّحُفِ  
وَالْمَجَلَّاتِ.

كُنْتُ أَرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ سِرَّ عَذَابِي .. رُبَّمَا إِنَّمَا أَوْ إِنِّي  
عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ .. اقْتَرَفْتُ الْكَثِيرَ مِنَ الْآثَامِ قَبْلَ  
أَنْ أُولَدَ !! أَوْ رُبَّمَا سَتَنْعَمُ بِالْكَثِيرِ مِنَ السَّعَادَةِ بَعْدَ أَنْ  
نَمُوتَ .. !!

وإِلَّا مَا احْتَوَتْ الْحَيَاةُ وَالْدُنْيَا عَلَى كُلِّ هَذَا الْقَدْرِ  
الِهَائِلِ مِنَ الْمَعَانَاةِ وَالْعَذَابِ وَالْآلَامِ !  
لَقَدْ أَمَاطَتِ اللَّثَامُ عَنِ الْأَسْرَارِ الَّتِي حُجِبَتْ عَنِّي  
طَوَالَ حَيَاتِي ، لَكِنَّمَا كَانَتْ لَيْسَتْ الْحَقِيقَةُ كُلَّهَا . فَقَدْ  
كَانَ شَيْئًا مَا .. يَنْقُصُهَا .



ورقدت أشجان.. فوق حشائش الأرض الزراعية تحت  
ظلال شجرة ضخمة.. لكن أشجان أيضا كانت ضخمة..  
بل وهائلة الضخامة.  
أغمضت عينيها..

وَرَأَتْ فِي سُباتٍ عَمِيقٍ .. وَكَأَنَّهَا لَمْ تَنْعَمْ بِهَذَا الِهدْوِءِ  
وَتِلْكَ السَّكِينَةِ مِنْذُ عَهْدٍ طَوِيلٍ .. وَكَمْ بَلَغَتْ سَعَادَةُ أَدْهَمَ وَهُوَ  
يَرَاهَا هَكَذَا .. نَائِمَةً .. هَارِئَةً .. مُطْمَئِنَّةً بِجَانِبِهِ ..

وَوَلَّيْتُ عَيْنَاهُ تَحَرُّسَانَهَا.. كَانَ يَرَاهَا بُعْيُونَهُ.. هُوَ..  
هُوَ وَحْسَبُ.. فَهُوَ لَمْ يَرَهَا مُتَوَحِّشَةً مُتَضَخِّمَةً كَمَا يَرَاهَا  
الْآخَرُونَ.. كَلَّا.. فَهِيَ عَرُوسُهُ.. الَّتِي سَتَظُلُّ دَائِمًا جَمِيلَةً  
رَقِيقَةً.. حَتَّى خُيِّلَ إِلَيْهِ الْآنَ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَهِيَ غَارِقَةٌ  
فِي سُبَاتِهَا وَكَأَنَّهَا «الْجَمِيلَةُ النَّائِمَةُ».

ونشر رسالتها أمامه ، وراح يقلّب في صفحاتها بلهفة  
ليقرأها قبل أن تستيقظ من نومها .

## السر الغامض...

سبحان الله..!

نفس الشَّكل..!

الشعرُ الأسودُ، والعينانِ السَّوداوتانِ ذواتا البريقِ  
اللامعِ الخَّلابِ، اللتانِ تتوسَّطانِ الوجْهَ الخُمْرِيَّ،  
السَّاحِرَ الجميلِ. هي نفسُها.. ملامحُ طفلتها. وقد  
عادتْ إليها مِنْ جَدِيدٍ. رُدَّتْ إليها بعدَ طَوِيلِ غِيَابٍ،  
وكانَها لمْ ترحلْ عنها بَعْدُ.. وبينَ البكاءِ والضَّحكِ،  
والجدِّ واللَّعبِ، كَبُرَتْ أَشْجَانُ..

خرجتْ مِنْ غُرْفَتِها زُفْرَةً رَقِيقَةً. تتحرَّكُ على أطرافِ  
أصابعِها. وكانَها تَطِيرُ.. لا تَسِيرُ، فتبدُّو كَفَرَّاشَةٍ هَائِمَةٍ..  
تغريكَ باللَّحاقِ بها.

الجميعُ ينتظرونها في رُدْحَةِ البيتِ الفاخرةِ الفسيحةِ،  
وبينَ الأقاربِ والأَصْدِقَاءِ. بحثتْ عيناها بينَ هَذَا وَذَاكَ  
عَنْ شَخْصٍ بَغِيْنِهِ، كانا دائما مُتَلَازِمَيْنِ، لا يفتَرقانِ في  
المدرسةِ، وبمَجَرَّدِ أَنْ وَقَعَ بَصَرُها عليه تَوَرَّدَتْ وَجَنَّتَاها









– انظر يا أدهم.. ماذا ترى؟ لقد أهدتني أمي الصغيرة،  
أمي الحبيبة هذه الهدية.  
اندهش أدهم قائلاً:

— هلْ دُنْيَا أُمِّكَ يَا أَشْجَانُ؟

كَلَّا يَا أَدْهَمَ، لَكِنِّي أَشْعُرُ أَنَّهَا تُحِبُّنِي أَكْثَرَ مِنْ أُمِّي  
الْحَقِيقِيَّةِ.. فَهِيَ مِثْلُ أُمِّي تَمَامًا، وَلَا أَخْفِيكَ سِرًّا فَأَنَا  
أَحِبُّهَا أَكْثَرَ مِنْ أُمِّي، لِقُرْبِهَا مِنِّي، وَحُبِّهَا، وَفَهْمِهَا لِي.  
فَأَنَا لِي أُمَانٌ، أُمٌّ كَبِيرَةٌ وَأُخْرَى صَغِيرَةٌ. وَمَا الْعَجَبُ فِي  
ذَلِكَ؟ انظُرْ.. انظُرْ، مَاذَا تَرَى؟ بَلْ مَا رَأَيْكَ؟

أشار أدهم بإصبعه على العروس الراقصة قائلاً:

— مَنْ هَذِهِ الْغُرُوسَةُ؟ هَلْ هِيَ أَشْجَان؟

— کلاً.. إنها إش إش..

— مَنْ؟

— ایش ایش۔

- إيش إيش.. جميلٌ هذا الاسم من أطلقه عليك؟

— اُمِّي دُنْيَا.









مَدَّتْ أَشْجَانُ يَدَهَا وَقَدْ أَثَارَتْ أُمُّهَا حُزْنَاً دَفِيناً فِي نَفْسِهَا. حُزْنَاً طَالَمَا عَجَزَتْ عَنْ إِخْفَائِهِ. لَقَدْ تَرَكْتَهَا وَأَسْرَعَتْ إِلَى غُرْفَتِهَا لِتَحَادِثَهُ كَيْفَمَا تَشَاءُ، لَقَدْ حَرَكْتَ الْجَمْرَ النَّائِمَ فِي كِيَانِهَا.. لِتَثِيرَ حَوْلَهَا جَوْاً مِنَ الْحَيْرَةِ وَالْقَلْقِ مِنْ جَدِيدٍ.. عَاصِفَةً مِنَ الْهَوَاجِسِ وَالشُّكُوكِ تَنْبَعُثُ مِنْ دَاخِلِهَا لِتَحْطُمَ سُكُونُهَا وَهَدْوُهَا وَكُلُّ مَا يَحِيطُهَا. لِمَاذَا تُخْفِي الْأُمُّ عَنْهَا أَشْيَاءَ لَا حُضْرَ لَهَا؟! لِمَاذَا دَائِماً تَتَهَامَسُ مَعَ أَبِيهَا وَعِنْدَمَا تَقْتَرِبُ مِنْهَا يَقْطَعَانِ حَدِيثَهُمَا بِاضْطِرَابٍ؟ قِطْعاً لَأَنَّهُمَا يُخْفِيَانِ سِرّاً مَا، مُتَعَلِّقاً بِهَا هِيَ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ.. وَرَبِّمَا مُتَعَلِّقاً بِدُنْيَا؟ وَلِمَاذَا تَكْرَهُ دُنْيَا كُلِّ هَذِهِ الْكَرَاهِيَةِ وَتُبْغِضُهَا؟ وَلِمَاذَا تَعِيشُ بَيْنَهُمَا دُنْيَا إِذَا كَانَتْ رَاغِبَةً عَنْهَا.. زَاهِدَةً فِيهَا؟

في لحظة واحدة.. تغير لونها.. واصفر وجهها..

وتأهت عن الحضور.

وَعَبَثًا حَاوَلْتُ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهَا، إِخْفَاءَ مَا بِهَا مِنْ قَلَقٍ  
وَحَيْرَةٍ وَاضْطِرَابٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْحَفْلُ. لَكِنَّ أَدْهَمَ بَسْرَعَةٍ  
تَحَوَّلَ مِثْلَهَا.. قَلَقًا لَشُحُوبِهَا، حَائِثًا لَشُرُودِهَا.. أَسْرَعْتُ



## لبن العصفور حقيقة ..!

اندھشت اشجانِ ہلِ الجمیعُ یعرفون اُنتینوری ہذا،  
وَلَا یُجہلہ اُحدٌ سواہا؟

— مَنْ هُوَ أَنْتِنُورِي هَذَا؟

- اسألني أمك يا حبيبتي.. فأنا لا أعرف شيئاً.

- وَأَنَا الْآنَ أَسْأَلُ أُمِّي .. أَلَسْتُ أُمِّي ؟ فَلَا تَكْذِيبِينَ عَلَيَّ .

فالكذب لا يعرف طريقه إليك.. وإذا كنت حقاً لا تعرفين؟

فَلَمَّاذَا اَمْتَقَعَ وَجْهَكَ وَاضْطَرَبْتَ عِنْدَ سَمَاعِ اسْمِهِ؟ اِذَا كُنْتَ

حَقًّا لَا تَعْرِفِينَهُ!! لِمَاذَا تَخْفَيْنَ عَلَى الْحَقِيقَةِ؟!

حَتَّى أَنْتَ لَا تَحْبِيزَ أَنْ تُرِيحِنِي، إِنَّكُمْ تَخْفِيَانِ

عَنْيَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً، وَلَا أَحَدٌ يُجِيبُ عَلَى كُلِّ الْأَسْئَلَةِ

الَّتِي تَدُورُ بِرَأْسِي فَتَكَادُ تَعْصِفُ بِي. إِنِّكَمَا تَتَضَافِرَانِ

عَلَى تَغْذِيَّتِي

تَمَرَّقْتُ دُنْيَا وَهِيَ تَرَاهَا تَتَلَطَّى بَنِيرَانَ الْحَيْرَةِ،

والقلق، وهي تقف عاجزة، مكتوفة اليدين، لا تستطيع

الإجابة عليها.



الَّتِي لَا تَشْبِيهَهَا ضُحْكَ أَنْثَى فِي الْعَالَمِ، فَلَيْسَتْ بِالضُّحْكَ  
الْمُحَادَّةِ وَلَا الصَّاحِبَةِ، وَلَكِنَّهَا ضُحْكُهَا هِيَ، هِيَ وَحْدَهَا  
الَّتِي تَضْحَكُ تِلْكَ الضُّحْكَ السَّاحِرَةَ، فَهِيَ تَضْحَكُ بَعْدَ  
فِيهَا، فَتَشْعُرُ وَكَأَنَّهَا لَا تَضْحَكُ هَكَذَا أَبَدًا لِأَحَدٍ سِوَاكَ...  
نَابِعَةٌ مِنْ قَلْبِهَا الصَّغِيرِ ضُحْكُهَا تِلْكَ.

هِيَ وَحْدَهَا الَّتِي تَمْتَلِكُ تِلْكَ الْعَذُوبَةَ السَّاجِرَةَ، الْخَلَائِفَةَ،  
فَتَسْرُ النَّازِرَ إِلَيْهَا؛ لَتَزِيلَ كُلَّ مَا بِهِ مِنْ أَحْزَانٍ وَهُمُومٍ وَأَلَامٍ.  
رَشِيقَةٌ هِيَ.. كَالْفَرَّاشَةِ، تَسْبِقُ فَتَيَاتَهَا اللَّاتِي يَتَحَرَّكْنَ،  
فَتُظَنُّ عِنْدَ رُؤَيْتِهَا أَنَّهَا تَطِيرُ لَا تَسِيرُ، وَقَدَرُ هَذِهِ الرِّقَّةِ  
وَنُعُومَتِهَا، قَدَرُ خَشَوْنَةِ أَدَهْمٍ وَفُتُوتِهِ. كَانَتْ ضَفِيرَتِهَا  
السُّودَاءُ الَّتِي تَتَدَلَّى عَلَى صَدْرِهَا تَصِلُ إِلَى خِصْرِهَا الدَّقِيقِ  
وَكَأَنَّكَ أَمَامَ قَانُونٍ مِنْ قَوَانِينِ الطَّبِيعَةِ الَّتِي لَيْسَ بِهِ أَىُّ  
خَلَلٍ أَوْ عَجْزٍ أَوْ نَقْصٍ.. فَيَصْعَبُ عَلَيْكَ الْعُثُورُ فِيهَا عَلَى  
غَلْطَةٍ وَاحِدَةٍ بِجَسَدِهَا الْجَمِيلِ، الرَّائِعِ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ.  
يَكْفِي نَظْرَةَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا لَتَعْلَمَ كُلُّ مَا تَخْفِيهِ وَتَسْتَرُّهُ  
وَتَبْطِنُهُ بِدَاخِلِهَا، عَيْنَانِ شَفَافَتَانِ.. كَالْمَرَّآةِ، تَعَكْسُ كُلَّ مَا  
فِيهِمَا.. دُونَ تَحَدُّثٍ أَوْ كَلَامٍ أَوْ حَتَّى مُجَرَّدِ إِشَارَةٍ.

كانت تسير كعروسٍ مُتحرِّكةٍ، حتَّى أدهم لم تبصره عيناها، كأنه ليس واقفا كعادته في انتظارها يُنادي عليها بينما هي تسير كالنائمة أو التائهة:

التفتت بعتة، فانتفضت صغيرتها الطويلة للخلف وهي تهتمس: أدهم!!

[illegible]

– أَشْجَانُ مِنْذُ عِيدِ مِيلَادِكَ وَأَنْتِ عَلَى غَيْرِ مَا يُرَامُ ،  
دَائِمَةُ التَّفْكِيرِ ، شَارِدَةُ الذَّهْنِ ، مَاذَا بَكَ ؟ إِذَا كُنْتُ لَسْتُ  
أَهْلًا لَتَقْتُلِكَ ، فَلَيْسَ هُنَاكَ مَعْنَى وَفَائِدَةٌ لَوْجُودِي إِذَنْ !

جَمَعَتْ كُلَّ قَوَائِمٍ لَتَبْتَسِمَ ، بَلْ لَتَخْفَى كُلَّ مَا فِيهَا مِنْ  
أَلَمٍ وَعَذَابٍ عَنْهُ ، فَجَاءَتْهُ ابْتِسَامُهَا تِلْكَ فَاتِرَةً ، حَائِرَةً :  
- كَيْفَ تَقُولُ ذَلِكَ الْقَوْلَ يَا أَدَهْمَ ؟ أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِذَنْ  
كَمْ هُوَ قَدْرُكَ عِنْدِي .. أَنَا أَحْيَانًا أَشْعُرُ أَنَّكَ كُلَّ دُنْيَايَ ،  
وَأَنَّهُ لَيْسَ لِي أَحَدٌ سِوَاكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ .

– لكنني لا أستطيع رؤيتك بهذه الحيرة والقلق، وأقف عاجزاً مكتوف اليدين، ليس بوسعى أن أرى أمواجاً عاليةً تُعكّر صفو شطّانى الهادئة بعينيك!! أجيبى على كلامى..  
ما الذى يقلقك بهذا القدر الهائل ويبعدك عني؟

- لَنْ يَبْعِدَنِي عَنْكَ شَيْءٌ مَا أَبَدًا يَا أَدَهْمُ.  
 لَمْ تَهْدَأْ حَالَهُ أَدَهْمُ بَعْدَ فَأَرْدَفَ يَقُولُ:  
 - فَلَمَّاذَا إِذْنٌ لَا تُصَارِحِينِي، عَسَايَ أَجِدُ لَكَ مَخْرَجًا  
 مِمَّا أَنْتَ فِيهِ، أَوْ يَكُونُ بُوْسَعِي مَا أَفْعَلُهُ مِنْ أَجْلِكَ؟  
 - صَدَّقْنِي يَا أَدَهْمُ لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مَا.



عَبَّرَ -Internet- الإنترنت بِالْكُمْبِيُوتَرِ. وَجُمِعَتْ عِدَدًا مُخْتَلَفًا مِنْ صُورِ أَشْجَانِ، وَرَاحَتْ تَكْتُبُ أَحْدَاثَ حَيَاتِهَا بِكُلِّ التَّفَاصِيلِ الْمُمْكِنِ عَرَضُهَا، كَمَا طَلَبَ مِنْهَا، وَغَمَرَتْهَا السَّعَادَةُ وَهِيَ تَقْلُبُ فِي صُورِهَا لِتَخْتَارَ مِنْهَا أَيَّهَا سَتُرْسِلُهُ إِلَيْهِ.

كان أثنينورى لا يُضِغُ ثَانِيَةً وَاحِدَةً مِنْ وَقْتِهِ ، فَهُوَ  
يَجْلِسُ فِي مَعْمَلِهِ فِي إِيطَالِيَا لِيَقْضَى مَعْظَمَ وَقْتِهِ بَيْنَ أبحاثِهِ  
وَتَجَارِبِهِ الْعِلْمِيَّةِ ، فَهُوَ يَعْمَلُ كَثِيرًا . وَجَاءَهُ خَيْرُ اسْتِمْرَارِ  
نَجَاحِ تَجْرِبَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ أَشْجَانُ وَسَعَادَةٌ أَمَّا بِهَا لِيَمْسَحَ  
بِهَذَا النِّجَاحِ كُلَّ تَعَبِهِ وَإِجْهَادِهِ وَمَسِيرَتِهِ الْبَحْثِيَّةِ .

لقد استطاع إعادة الابتسامة والحياة لامرأة بعد طول  
يأس وحرمان، وقد تعود هو أن يفعل المستحيل، بل  
لا يوجد في حياته ما يدعى بالمستحيل. ولذلك لُقّب  
(بأبي الأطفال المستحيلين).

دخلت زوجته، وشريكته العلمية، لتضع أطباقاً  
زُجاجية صغيرة مُرتبة مرقمة - أطباق بترى المعملي - المليئة  
بالبويضات المُخصبة صناعياً في الحضانة لتخصيبها.





- هُوَ الطَّبِيبُ يَا حَبِيبَتِي الَّذِي أَنْقَذَكَ وَأَنْقَذَنِي أَثْنَاءَ وَلَادَتِكَ.. أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّنِي وَلَدْتُكَ هُنَاكَ فِي إِيطَالِيَا.. أَنْتِ عِنْدُنَا لَمْ تَسْأَلِينِي لِمَاذَا؟

– لماذا يا أمي؟ لماذا تممت ولادتي في إيطاليا؟ أليس في مصر بأكملها أطباء ولادة ماهرون لإنقاذ سيّو في إيطاليا؟ ولماذا إيطاليا وليست إنجلترا أو أمريكا أو فرنسا؟ ولماذا دنيا أيضا على وجه التحديد، وما علاقتك بها، بل ما علاقتها الحقيقية بي؟

انهالتْ أسئلتُها كالسَّيلِ الجَّارفِ مُحَطِّمَةً بِهِ كُلَّ  
الحوَاجِزِ والقَيُودِ الواحِدِ تَلَوَ الآخِرَ.. بَلَا تَوَقُّفٍ أَوْ هُدْنَةٍ  
أَوْ رَافَةٍ فِي طَرِيقَةِ حَدِيثِهَا. كَانَتْ لَهْجَتُهَا شَدِيدَةً.. قَاسِيَةً،  
مَلِيئَةً كُلِّهَا بِالِاتِّهَامَاتِ، وَكَأَنَّ كُلَّ مُهِمَّتِهَا انْحَصَرَتْ فِي  
الْبَحْثِ عَنْ دَلِيلٍ لِإِدَانَتِهَا وَإِثْبَاتِ الْإِتِّهَامِ الَّذِي يَمْلُؤُهَا.  
- وَإِذَا كُنَّا فِي إِنْجِلْتَرَا لَتَسَاءَلْتُ لِمَاذَا لَيْسَتْ إِيْطَالِيَا؟  
كَانَ هَذَا الطَّبِيبُ أَنْتِينُورِي يَنْقِذُ الْكَثِيرِينَ مِنْ أَصْحَابِ  
الْعِلَلِ الْمُسْتَعْصِيَةِ لِلْعَقْمِ وَالْإِنْجَابِ، وَكَثِيرًا مَا كَانَتْ تَتَرَدَّدُ  
أَخْبَارُهُ فِي الصَّحَفِ وَالْمَجَلَّاتِ، هَذَا كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ.  
وَرَغَمَ أَنَّ هَذِهِ الْإِجَابَةَ غَيْرُ مُقْنَعَةٍ لَهَا، إِلَّا أَنَّهَا مَنَعَتْهَا  
مِنْ تَكَرَّرِ هَذَا السُّؤَالِ.. ثُمَّ لَاحَقَتْهَا بِسُؤَالٍ آخَرَ وَكَأَنَّهَا فِي  
تَحْقِيقِ رَسْمِي: - وَدُنْيَا!

قَاطَعَتَهَا بِحِدَّةٍ:

— مَاذَا بِهَا دُنْيَا؟

— لماذا دنيا على وجه التَّحْدِيد؟

- لأنها كانت المُرْضِعَةُ الوحيدةُ التي عثرنا عليها، واختيارها كان نتيجةَ صَحَّةِ التحاليل والفحوص التي

أَجْرِيْتُ عَلَيْهَا وَطَلَبْنَا مِنْهَا الْإِقَامَةَ. فَرَحَّبْتُ حَيْثُ لَا أُسْرَةٌ لَهَا.. وَلَا مُعِينٌ وَلَا رَفِيقٌ.. فَمَاذَا فِي الْأَمْرِ مِنْ غَرَابَةٍ؟  
- فِي الْأَمْرِ..

قاطعتها الأم بقسوة:

-أَشْجَانُ كُفَى عَنْ أَسْأَلَتِكَ تِلْكَ.. أَمْ أَنَّهُ تَحْقِيقٌ وَلَا بَدْءَ  
مِنْ اسْتِجْوَابِي، أَنَا لَا أَفْهَمُ كَيْفَ تَشْغَلِينَ بِالِكِ وَفَكْرِكِ  
بِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ التَّافَهَةِ وَتَتْرَكِينَ دُرُوسَكَ، عُودِي إِلَى  
غُرْفَتِكَ مِنْ فَضْلِكَ.

مَآئِنُ حَدِيثٍ بَيْنَهُمَا إِلَّا وَازْدَادَتْ الْأُمُّ خَوْفًا وَازْدَادَتْ  
أَشْجَانُ بُعْدًا، وَاتَّهَمَا، وَاحْسَاسًا بِأَنَّهَا لَيْسَتْ أُمُّهَا،  
وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ أُمًّا لَهَا، بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ!!  
وَالَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ هُوَ أَنَّ دُنْيَا هِيَ أُمُّهَا عَلَى وَجْهِ  
التَّحْدِيدِ، وَلَا رَيْبَ فِي ذَلِكَ. فَلَا بُدَّ مِنْ وَجُودِ جَرِيمَةٍ مَا..  
يُخْفِيَانَهَا، يَتَسَتَّرَانِ عَلَيْهَا.

1. 16 端

تَحَرَّكَتْ تَجْرَى خَلْفَهُ، فَهِيَ دَقِيقَةٌ فِي حَجْمِهَا،  
رَشِيقَةُ الْقَوَامِ، جَرَتْ أَمَامَهُ تُغْرِيه بِاللَّحَاقِ بِهَا، وَتَوَالَتْ



وَرَنْتُ ضُحْكَتَهَا الْعَالِيَةَ لَتَمْلَأَ أَصْدَاءُ الْمَكَانِ مِنْ حَوْلِهَا.

بثقةٍ قالَ أدهم: قُلْتُ لِكَ إِنِّي لَا أَتَفَكَّهُ.

اعتدلت في جلستها وهي تسأله بجديّة :

— أَتَجِدُ فِيمَا تَقُولُ...؟

— منذ متى أقول هذا؟

فَنظَرْتُ إِلَيْهِ بِتَعْجُبٍ مُتَسَائِلَةً :

— لا تغضب هكذا.. فقل لي إذن ما هو لبن العصفور؟

أردف أدهم يشرح لها وكله ثقة بمعلوماته التي راح

يَسْقِيهَا إِيَّاهَا كُلَّ يَوْمٍ، فَكَانَتْ تَتَلَقَّى مِنْهُ وَتَشْرِبُ مِنْ

كأس الحبِّ والمعرفة في آن واحد.

- لبنُ العصفور لا يختلف في جَوْهَرَةٍ وَتَرْكِيبَتِهِ عَنْ لَبَنِ

أَيُّ حَيَوَانَاتٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الثَّدْيِيَّةِ، فَهُوَ يَحْتَوِي عَلَى الْمَادَّةِ



البروتينية التي تسمى (كارينوجين) ودهن وسكر اللاكتور  
وهي نفس مكونات اللبن الطبيعي المعروف لنا جميعاً..  
إلا أن لبن العصفور أو الطيور بصفة عامة، يختلف  
عن لبن الحيوانات الثديية الأخرى في بعض الخواص  
الطبيعية لأنه ليس سائلاً..

لكنه على هيئة فتات أبيض اللون هش.. سريع  
التكسر.. أشبه ما يكون بفتات الجبن الأبيض، وللعلم  
يا حبيبتي فإن لبن الطائر تفرزة حويصلة الأنثى والذكر  
على السواء.. ولذلك يشترك الذكر والأنثى -معاً- في  
إطعام أفراخهما الصغيرة، وعندما تضع العصفورة أو  
العصفور منقارها في فم أفراخها الصغار يرتعشان..

إنهما في الواقع يطعمانهم لبناً حقيقياً كان في  
حويصتهما.. وما يقومان به هو اجتاراه واسترجاعه من  
حويصتهما إلى فم صغارهما، ومن هنا يا حبيبتي فإن لبن  
العصفور حقيقة علمية، وليس خرافة، كما يظن أو يعتقد  
البعض مثلك يا حبيبتي.

قالت أشجان والحب والإعجاب يملؤها:

كَمْ يَعْجِبُنِي فِيكَ ثِقَتُكَ تِلْكَ يَا أَدْهَمَ وَأَنْتَ تُدَلِّي  
بِمَعْلُومَاتِكَ تِلْكَ الطَّرِيفَةَ.. الشَّيْقَةَ وَالْحَقِيقَةَ أَيْضًا. فَرَعَمَ  
أَنْنَا فِي عُمْرٍ وَاحِدٍ إِلَّا أَنْنِي أَشْعُرُ بِكِبْرِكَ عَنِّي، وَوَعِيكَ،  
لَكِنْ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِكُلِّ هَذِهِ الْجَاذِبِيَّةِ؟ فَتَحَافَتُكَ تُضْفِي  
عَلَيْكَ قُوَّةً وَتَزِيدُكَ رَوْعَةً فَوْقَ قُوَّتِكَ.

- القراءَةُ يَا أَشْجَانُ.. فَأَنَا أَحَبُّ الْقِرَاءَةِ جَدًّا.

— قَدَّرَ حُبِّي لَكَ؟

- حُبِّي لَكَ لَا يُعَادِلُهُ شَيْءٌ فِي الْوُجُودِ.

– أَنْتَ تَحِبُّ كُلَّ شَيْءٍ جَمِيلٍ يَا أَدْهَمُ، لَمْ أَرْ شَيْئًا جَمِيلًا إِلَّا وَوَجَدْتُكَ تُحِبُّهُ. فَأَنْتَ تَحِبُّ كُلَّ مَا يُحِبُّ.. وَتُبْغِضُ كُلَّ مَا يُؤْجِبُ كَرَاهَتَهُ وَبُغْضَهُ.

- كُمْ هِيَ جَمِيلَةٌ تَعْبِيرَاتُكَ تِلْكَ يَا حَبِيبَتِي..

كَمْ أَنْتِ رَقِيقَةٌ.. أَنْتِ فَرَّاشَةٌ.. فَرَّاشَتِي أَنَا وَحْدِي..  
فَرَّاشَتِي الَّتِي سَتَظِلُّ تَحَلُّقُ فِي سَمَائِي أَنَا وَحْدِي، إِلَى  
آخِرِ يَوْمٍ فِي عُمْرِي.

رددت بتفكر وتأمل :

— فَرَاشَةٌ !!





وَامْتَلَأَتْ عَيْنَاهَا بِالسُّحْبِ الْقَاتِمَةِ . . فَلَمَحَتْ أَدْهَمَ جَالِسًا  
مُبْتَسِمًا . . فَابْتَلَعَتْ دُمُوعَهَا وَبَادَلَتْهُ الْابْتِسَامَ لِتَنْسِيَ كُلَّ مَا  
فَكَّرَتْ فِيهِ . كَانَ أَدْهَمُ هُوَ الشَّيْءُ الْوَحِيدُ فِي هَذَا الْوُجُودِ



– أنا دائماً معك يا حبيبتي بقلبي وعقلي..  
ألا يكفيك هذا؟

قالتُ أشجان بحزن :

— إِلَى مَتَى نَظَلْ هَكَذَا. إِنِّي خَائِرَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أُمِّي؟  
لِمَاذَا لَا تَتَّقَانِ وَتَعْقِدَانِ هَدَنَةً مِنْ أَجْلِى أَنَا؟ مَا الَّذِي  
يَجْعَلُكُمْ دَائِمًا عَلَى غَيْرِ وِفَاقٍ؟ وَلِمَاذَا تَغَارُ مِنْكَ كُلُّ هَذِهِ  
الْغَيْرَةِ؟ إِلَى مَتَى يَسْتَمِرُّ هَذَا الْوَضْعُ الْغَرِيبُ بَيْنَنَا؟ إِنَّكَ  
تُعْطِينِنِي كُلَّ شَيْءٍ وَلَا تَأْخُذِينَ أَيَّ شَيْءٍ... حَتَّى وَجُودِكَ  
بَيْنَ النَّاسِ تُحَرِّمِينَ مِنْهُ...!! لِمَاذَا؟ مَا الَّذِي فَعَلْتَهُ وَاقْتَرَفْتَهُ  
لِتَجْنِي كُلَّ هَذَا؟

— كُلُّ هَذَا لَا يُؤْلَمَنِي.

— لَكُنْهُ يُؤْمِنُنِي أَنَا.. فَأَنَا بِحَاجَةٍ لَوْجُودِكَ مَعِي..

لَكُنْ...! لِمَاذَا تَفْعَلُ أُمِّي كُلَّ هَذَا...؟

لَمَّاذَا تَحُولُ دُونَ وَجُودِكَ الْمُسْتَمِرِّ مَعِيَ لَمَّاذَا؟ لَمَّاذَا  
لَا تُرِيحِينِنِي وَتَقُولِينَ لِي السِّرَّ الْغَامِضَ الَّذِي يَجْمَعُكُمْ  
وَيَضْطَرُّكُمْ لِلْعِيشِ هَكَذَا؟

## القرد كوکی وشجرة النيم

لَمْ يَعْثُرَا عَلَى الْقِرَدِ «كُوكِي» فَرَاخًا يَبْحَثَانِ عَنْهُ، فِي كُلِّ مَكَانٍ فِي الْبَيْتِ، وَفِي الْحَدِيقَةِ الْمَحِيطَةِ بِالْبَيْتِ، إِلَّا أَنَّهُمَا فَشَلَا فِي الْعَثُورِ عَلَيْهِ.

وإذا بكوكي الصَّغير في الفِلا المجاورة  
يتسلَّل عبر نافذة المطبخ متسلِّقاً  
«المواسير الخلفية» لمخازن المياه..

لِيَنْقُلَ عَنْهَا الْبَطَاطِسَ وَالطَّمَاظِمَ،  
الْوَاحِدَةُ تَلَوُ الْأُخْرَى، فَيَمْسِكُ وَاحِدَةً  
بِيَدِهِ يَحْتَضِنُهَا، وَالْأُخْرَى

يَتَسَلَّقُ بِهَا عِبْرَ  
«المواسير» وَالنَافِذَةِ،

ثم يقفُ عبرَ الأشجار،

ثُمَّ يَتَسَلَّقُ لَطَبِخَ الْبَيْتِ

ليضعها على منضدة تجهيز الطعام  
في مطبخ الأسرة.



دَخَلْتُ مَرْيَةَ الْبَيْتَ بَغْتَةً، فَوَجَدْتُ كُوكَى قَرَدَ الْجِيرَانِ  
يَسْرِقُ خُضْرَاوَاتِهِمْ وَيَنْقُلُهَا لَهُمْ، فَأَمْسَكْتُهُ الْمَرْيَةُ فَرَاخَ  
يَصْرُخُ صَرَخَاتٍ مُتَتَالِيَةً.

اندفعت الأم تتور غاضبةً لهذه التصرفات.

لَمْ تُعِرْ أَشْجَانُ أَىْ اِهْتِمَامٍ لِهَذِهِ الثُّورَةِ، حَيْثُ إِنَّهُ لَا دَاعِيَ لِكُلِّ هَذِهِ الثُّورَةِ وَالْغَضَبِ لِمَا يَفْعَلُهُ الْقَرْدُ، وَجَلَسْتُ مَعَ كُوكَى ثُلَاغِبِهِ وَتَلَاظِفِهِ فِيهِ رَقِيقَةً، وَدِيعَةً، تَخَاطَبُ الْأَزْهَارَ، تَصَادِقُ الطُّيُورَ، تَحْدُثُ الْمَطَرُ. كَانَتْ شَدِيدَةً الْإِعْجَابِ وَالْحُبِّ بِهِ.. فَهُوَ يُمَثِّلُ لَهَا اللَّعِبَةَ الْمَثِيرَةَ، الْحَيَّةَ، الَّتِي لَمْ تَبَادِلْهَا الْمَلَاظِفَةَ وَاللَّعِبَ فَقَطْ، بَلْ وَالْحُبَّ أَيْضًا.

فَتَحَتْ أَشْجَانُ الْإِنْتَرْنَتِ بَحْثًا عَنْ أَىْ مَعْلُومَاتٍ  
عَنْ أَنْتِينُورَى الْإِيْطَالَى وَسِيْرَتِهِ الذَّاتِيَّةِ.. وَعِنْدَمَا وَصَلَتْ  
إِلَيْهِ قَرَأَتْ: «يَبْلُغُ مِنَ الْعُمُرِ الثَّامِنَةَ بَعْدَ الْخَمْسِيْنَ. مُتَزَوِّجٌ  
وَيَعْمَلُ مَعَ زَوْجَتِهِ فِي مُسْتَشْفَى الْاسْتِنْسَاخِ وَالْوَلَادَةِ، يَلْقُبُ  
«بَابُو الْأَطْفَالِ الْمُسْتَحْيِلِيْنَ». يَعَالِجُ الْحَالَاتِ الْمُسْتَعْصِيَّةِ  
لِلْعَقْمِ.. وَذَلِكَ بِاسْتِخْدَامِ وَسَائِلِهِ الْمُنْفَرِدَةِ فِي عِلَاجِ الْعَقْمِ،  
وَسَنَ الْيَأْسِ وَغَيْرَهَا مِنَ الْحَالَاتِ الْمُسْتَعْصِيَّةِ».

- لَهُ مُحَاوَلَاتٌ فِي اسْتِنْسَاخِ الْبَشَرِ، تَسَبَّبَتْ فِي تَقْدِيمِهِ  
لِلْمَحَاكِمَةِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وَأَغْلَقَ الْمُسْتَشْفَيْنَ الْخَاصِّينَ بِهِ، بَلْ  
وَتَمَّ طَرْدُهُ مِنَ الْجَامِعَةِ الْإِيطَالِيَّةِ (سَابِينْسَا) وَتَعْنَى الْمَعْرِفَةِ.  
شَعَرْتُ أَشْجَانَ بِالْخَذْلَانِ أَمَامَ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي لَمْ يَكْذِبْ  
كُلُّ بِنٍّ وَالدِّيْهَا فِي قَوْلِهَا.. فَلَمْ يَلْجَأْ إِلَيْهِ عَبَثًا وَلِهَوَا..  
وَاسْتَعَادَتْ ثِقَتَهَا مِنْ جَدِيدٍ بِأَمْعَاهَا.. وَصَدَقَتْ أَقْوَالُهَا بَعْدَ أَنْ  
تُبَيَّنَ عَدَمُ صَحَّةِ اتِّهَامِهَا وَإِدَانَتُهَا وَهَوَاجِسُهَا الشَّيْطَانِيَّةِ.

\*\*\*

ثُمَّ جَلَسْتُ أَسْفَلَ الشَّجَرَةِ الَّتِي شَهِدْتُ عَهْدَهُمَا وَأَحَادِيثَهُمَا  
وَحَبِيْهُمَا مُحَاطِينَ بِالْوُرُودِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.. قَائِلَةً:

- لِمَاذَا يَا أَدَهْمَ عِنْدَمَا نَصُلُ وَنَجْلِسُ عِنْدَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ  
أَشْعُرُ بِالرَّاحَةِ لِدَرَجَةٍ أَنْيَّ أَشْعُرُ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هُنَا  
نَقِيٌّ، جَمِيلٌ، بَدِيعٌ.. حَتَّى الْهَوَاءُ هُنَا  
غَيْرُ مُلَوِّثٍ، وَكَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ  
مَرِيحٌ وَهَادِيٌّ وَجَمِيلٌ؟ دَاعِبْتُهَا  
قَائِلَةً:

- أَتَعْرِفِينَ لِمَاذَا.













– انا..! انا يا أشجان أتجاهلك؟ كيف تفكرين هكذا؟  
كيف أهونُ عليكِ فتظلمينني هذا الظلم البين؟

- أدهم...! ألا ترى أن هناك تغييرًا قد حدث لي؟ أليس

هناكَ مَا يُلْفَتُ وَلَفَتَ نَظْرَكَ وَبَصَرَكَ بِالْفِعْلِ لِمَا حَدَّثَ لِي؟

- أَشْجَانُ.. أَنَا أَحَبُّكَ أَنْتِ طَوِيلَةٌ كُنْتُ أَمُّ قَصِيرَةٍ.

سَمِينَةً أَوْ نَحِيفَةً، حُلُوةٌ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ، فَأَنَا أَحَبُّكَ أَنْتَ وَلَنْ

أَحَبُّ سَوَالٍ وَأَرَاكَ جَمِيلَةً.. رَقِيقَةً دَائِمًا. وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ.

والأوضاع، والأعمار.. أحبك فعيناي لا تبصران سِوَاكِ.

- لكنني يا أدهم أشعرُ بأنني مريضة.. فأنا خائفة، ليس

مَا بِي هُوَ السُّمْنَةُ.. لَكِنَّهُ، تَضَخُّم. إِنْنِي أَخَافُ-الآن-

## النظر في المرأة.

وَكُلُّ يَوْمٍ تَجْرَىٰ عَلَىٰ التَّحَالِيلِ وَالْفَحُوصِ وَالْإِخْتِبَارَاتِ

وَأَرَى الدَّهْشَةَ، وَالتَّعَجُّبَ فِي نَظَرَاتِ الْأَطْبَاءِ دُونَ جَدْوَى.

وَأَنْبَعَثْ كَلِمَاتُهَا مُتَقَطَّعَةً وَهِيَ تَقُولُ :

— إِنِّي خَائِفَةٌ يَا أَدَهْمُ.. خَائِفَةٌ. أَجْهَشْتُ بِالْبُكَاءِ.



كانت الغيرة تملأُ مِلاّت أشحان من حمالها وفتنتها





## الأمومة الكاذبة

تَلْعَثُمْتُ .. لَكُنْهَا أَجَابَتْ :

- هو يتابع جميع حالات ولاداته.. خاصة اللاتي كُنَّ يعانين من عُقم أو صُعوبات في الولادة مثل خالتي.. ويوجهها للمتخصصين في الخارج عن طريقه.

كَانَتْ أُمُّهَا تَكْذِبُ بَلْ أَصْبَحَتْ بَارِعَةً فِي مِمَارَسَةِ  
شَتَّى فُنُونِ الْكَذِبِ.. وَهَذَا هُوَ الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي  
لَا يَسَاوُرُهَا فِيهِ شَكٌّ.. وَهَذَا وَحْدَهُ كَانَ كَفِيًّا بِتَأْكِيدِ  
شُكُوكِهَا وَظَنُونِهَا.

فتلعثمها الدائم، واضطرابها المستمر لا يدلان على حالة  
من القلق والحزن عليها. قدر ما هو دليل على كذبها  
وإخفائها أمراً ما.

لَكِنْ يَبْدُو أَنَّ شَكْوَكُهَا لَمْ تَنْتَهِ بَعْدَ، بَلْ كَانَتْ تَنْدَثِرُ  
تَحْتَ شَعَارِ: الْمَجْرُمُ بَرِيٌّ حَتَّى تَثْبُتَ إِدَانَتُهُ. وَرَغْمَ أَنَّهَُا  
كَانَتْ عَلَى وَشَكِّ الْإِقْتِرَابِ وَالْإِقْتِنَاعِ مِنْ بَرَاءَتِهَا.. إِلَّا أَنَّهَُا  
الْآنَ وَقَدْ تَعَرَّى سُبَاتُهَا تَشْتَعِلُ مِنْ جَدِيدٍ ظَنُونُهَا..!

كلا.. فلم تعد ظنونا، بل أصبحت يقينا. وتوالت  
صرخاتها بعد أن عجزت عن السيطرة عما بداخلها من  
قسوة وعنف لهذه الأم:  
- لست أُمي.. لست أُمي..

وتركتها أشجان وخرجت بعد أن طعنتها كلماتها،  
وراحت تنزف وتسيل دماء حبها.. وها هي الآن، تحصد  
ما غرسه إرضاء لغريزة الأمومة.. بعد كل ما فعلته تنهرها  
ابنتها بكلمات: لست أمي.. لست أمي..!

رَاحَتْ تَتَرَدَّدُ عَلَى أُذُنَيْهَا وَتَدْوَى بِرَأْسِهَا، فَتَكَادُ تَصُمُّ أُذُنَيْهَا. سَقَطَتِ الْأُمُّ كَمَدًا وَحُزْنًا مِنْ تِلْكَ الصَّفْعَةِ الْقَاسِيَةِ...  
وَالْأَوَّلَ مَرَّةً تَبْكِي بَعْدَ بَكَائِهَا عَلَى طِفْلَتِهَا الرَّاحِلَةِ.

كَيْفَ اسْتَطَاعَتْ؟ بَلْ كَيْفَ تَجَرَّأَتْ بَعْدَ كُلِّ مَا فَعَلَتْهُ  
مِنْ أَجْلِهَا؟ لَكِنْ لَهَا الْمَعْذَرَةُ فِي كُلِّ ذَلِكَ، فَهِيَ لَا تَعْرِفُ  
كَمْ أَنْفَقَتْ مِنْ مَبَالِغٍ وَتَضَحِيَّاتٍ لِإِخْرَاجِهَا وَإِعَادَتِهَا لِلْحَيَاةِ  
مِنْ جَدِيدٍ، وَجَلَسْتُ بِمَفْرَدِهَا بَعْدَ أَنْ أَوْصَدْتُ عَلَيْهَا  
بَابَ غُرْفَتِهَا، دُونَ الْآخِرِينَ وَفَتَحْتُ مَلَفَ صُورِهَا مِنْذُ  
مِائَلَدِهَا.. وَحَتَّى هَذِهِ اللَّطْمَةُ الْقَوِيَّةُ الْقَاسِيَةُ، كَانَتْ

الدموعُ تتسابقُ على وجنتيها، لقد فعلتُ كلَّ شيءٍ بلْ  
وَقَدَّمْتُ كلَّ مَا تَمَلُّكُ، لكنْ لم تستطع السَّيطرةُ على قلبها،  
فهى لا تشعرُ بأُمومتها وبنوتها لها وكأنها تمثلُ دوراً ثقيلاً  
لا تستطيعُ إتقانه، حتَّى تجرَّأت وقالتُ لها علانيةً بلْ  
سُفُوراً وتجاوُزاً.. لستِ أُمى.

وَأَسْنَدْتُ الأُمَ رأسها على وِسَادَةِ فراشها الوثير، تفكرُ  
كيفَ وَقَدْ تحقَّقتُ كلُّ أحلاميها.. شعرتُ أنه كما يوجدُ  
مَا يُدَّعى بالحملِ الكاذبِ، فهناك أيضاً الأُمومةُ الكاذبةُ.  
فهى كالْأُمِ الكاذبةِ، والحملُ الكاذبُ، بلْ الأمُ الفاشِلةُ، فلم  
يَسْتَطعِ المالُ أَنْ يخضعَ لها طِفْلَتُهَا وَقَدْ أعادتها للحياةِ،  
لقد فَعَلْتُ المُستحيلَ.. عاشتُ حياتها تحتَ شعارٍ واحدٍ:  
وهو أنه لا يوجدُ شَيْءٌ اسمه المُستحيلُ. كلاً.. فالحبُّ هو  
المُستحيلُ الوحيدُ الَّذى واجهتهُ فى هَذِهِ الدنيا.. وحبُّ  
مَنْ..؟ طِفْلَتُهَا الوحيدةُ..!

أَغْمَضْتُ عينيها رَغَمَ السيلِ المُتدفقِ مِنْ عينيها حتَّى لا  
تَرى خيبةَ آمالها.. وَنَتِيجَةَ إصرارها على أَنْ تكونَ أُمًّا..



لَقَدْ عَجِزْتُ بَعْدَ كُلِّ مَا فَعَلْتُ أَنْ تَنَالَ حُبَّهَا، وَتَمْلِكَ  
قَلْبَهَا. فَشِلْتُ فِي أَنْ تَكُونَ أُمًّا.

\*\*\*

اقترب- القردُ الشَّقِيُّ كوكي- مِنْ أَشْجَان.. فهو  
صَدِيقُهَا الَّذِي لَمْ يَخْرُجْ مِنْ غُرْفَتِهَا، حَيْثُ كَانَ فِي  
اِنْتِظَارِهَا كَالْمُعْتَادِ، وَقَفَ عَلَى كَتِفِهَا، فَجَذَبَتْهُ وَحَمَلَتْهُ  
بِحَنَانٍ، ثُمَّ جَلَسَتْ عَلَى مَقْعِدٍ وَثِيرٍ تَنْظُرُ إِلَيْهِ بِصُمْتٍ،  
فِرَاحٌ يَضَعُ كَفَّهُ يَتَحَسَّسُ وَجْهَهَا، فَانْهَالَتْ دُمُوعُهَا وَهِيَ  
تَقُولُ وَدُمُوعُهَا تَحْشَرُجُ صَوْتَهَا وَتَقْطَعُ كَلِمَاتِهَا:

- حَتَّى أَنْتَ يَا كوكي تَشْعُرُ بِتَغْيِيرِي وَتَضْحِكِي  
فَتَتَحَسَّسُ وَجْهِي غَرَابَةً وَأَنِدَاحًا.

فَمَسَحَ دُمُوعُهَا وَرَاحَ يَقْبِلُهَا وَكَأَنَّهُ يُؤَاسِيهَا، فَضْغَطَتْ عَلَيْهِ  
بِذِرَاعَيْهَا تَحْتَضِنُهُ وَتَنْتَجِبُ، وَكَانَ الْقَرْدُ كوكي يَمُرُّ بِكَفِّهِ  
وَأَصَابِعِهِ الدَّقِيقَةِ عَلَى شَعْرِهَا الْكَثِيفِ مِنَ الْخَلْفِ لَتَهْدِثَهَا.  
كَمْ مِنَ الْوَقْتِ مَرَّ عَلَيْهَا وَهِيَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، سَاعَاتُ  
طَوِيلَةٍ مَضَتْ دُونَ اِكْتِرَافٍ مِنْهَا. فِرَاحَتْ تُحَدِّثُهُ قَائِلَةً  
بِعِزْمٍ وَإِصْرَارٍ: كَلَّا.. لَا يَجِبُ اِلِسْتِسْلَامُ.. أَلَيْسَ كَذَلِكَ  
يَا كوكي.. إِنَّهُ مَرَضٌ، وَلَا شَكَّ فِي أَنْ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ،







- کَلَّا، أَجَلٌ.. یَا إِشْ إِشْ.

— أَجَلْ يَا إِش إِش —

وَعَبَثًا حَاولت أَشْجَانِ النّومِ دونَ جَدوى.. كادَ القلقُ  
يأكلُها، والفكرُ يُلْتهمها.

وكانت دنيا تتقلبُ في فراشها على جمرٍ من الأتونِ  
المُستعرِ، وهي ترى قرّةَ عينها تضيّعُ منها هكذا، وهي  
مكتوفةُ اليدين حائرةُ الفكر لا حولَ لها ولا قوة إلا بالله.

六五

يَجْلِسُ أَدْهَمُ سَاهِرًا، لَمْ يَغْمُضْ لَهُ جَفْنٌ، وَهُوَ يَبْعَثُ رِسَائِلَ حَالَتِهَا إِلَى كِبَارِ أَطْبَاءِ الْعَالَمِ، فَلَنْ يَهْدَأَ لَهُ بَالٌ وَيَسْتَقَرَّ لَهُ فِكْرٌ إِلَّا بَعْدَ عِلَاجِهَا، وَكُلُّهُ أَمَلٌ فِي عِلَاجِهَا. يَنْتَظِرُهَا لِيَقُومَ كَعَادَتِهِ بِتَوْصِيلِهَا لِلْمَدْرَسَةِ.

- أَدْهَمَ مَاذَا بِكَ؟ هَلْ أَكَلْتُ طَعَامَكَ.. لَتَمْسِي نَحِيفًا شَاحِبًا، وَأَصْبَحُ سَمِينَةً غَلِيظَةً؟ مَاذَا أَصَابَكَ؟ بَلْ مَاذَا دَعَاكَ؟ لِمَاذَا تَشَحَّبُ هَكَذَا يَوْمًا عَنْ يَوْمٍ؟ أَخْشَى أَنْ تَصْبَحَ قَرِيبًا خَيَالًا وَشَبَحًا مُتَحَرِّكًا فَلَا أَسْتَطِيعُ رُؤْيَيْكَ إِلَّا مِنْ خِلَالِ صَوْتِكَ؟

– لا تنشغلي بأمرى يَا أَشْجَانُ؟ فَأَنَا عَلَى مَا يُرَامُ، الْمَهْمُ أَنْتِ.. أَنْتِ يَا حَبِيبَتِي.

ابْتَسَمَتْ قَائِلَةٌ وَهِيَ تَجَاهِدُ وَتَصَارِعُ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَتَّظَاهَرَ  
بِالابْتِسَامِ: وَأَنَا أَيْضًا عَلَى مَا يُرَامُ.. أَلَا تَصَدَّقْنِي؟!  
وَقَفَ زُمَلَاءُ الْفَصْلِ خَلْفَ الْبَابِ لَا يَقْوُونَ عَلَى فَتْحِهِ،  
وَحَاوَلَ الْبَعْضُ كَسْرَهُ وَاقْتِحَامَهُ فَذَهَبَ أَحَدُهُمْ لِيَحْضِرَ  
مَطْرَقَةً أَوْ آيَةَ آلَةٍ حَدِيدِيَّةٍ لِفَتْحِهِ، بَيْنَمَا اقْتَرَبَتْ أَشْجَانُ  
مِنَ الْبَابِ وَبَضَعَتْ وَاحِدَةً مِنْ كَتِفَيْهَا لَمْ يَفْتَحِ الْبَابُ فَحَسَبَ  
بَلْ خُلِعَ تَمَامًا مِنَ الْجِدَارِ، فَأَمْسَكَتْ بِهِ وَأَسْنَدَتْهُ عَلَى  
الْجِدَارِ. سَأَلَتِ الْمَعْلَمَةُ: - مَنْ خُلِعَ هَذَا الْبَابُ؟

ضحك الجميع وتفوه البعض يقول: «بدئية السمينة».  
وقفت أشجان.. فبدت طويلة جداً، أصبحت أطول من  
فى المدرسة وأعرضهم وأثقلهم وزناً، وقالت بضمود:  
- أنا يا أبله.

– لَمَّاذَا يَا أَشْجَانَ خُلِعْتَ الْبَابَ هَكَذَا؟  
– أَنَا لَمْ أَقْصِدْ خُلْعَهُ يَا أَبْهَلَةَ، لَكِنِّي أَرَدْتُ فَتَحَهُ فَقَطْ  
فَلَمْ يَتَحَمَّلْ وَخُلِعَ فِي يَدِي لَضَعْفِهِ.

رَفَضْتُ أَشْجَانُ الْخُرُوجِ مِنَ الْبَيْتِ لِلتَّحَالِيلِ وَالْفَحْصِ  
وَالْكَشْفِ. وَرَفَضْتُ كُلَّ شَيْءٍ وَقَرَّرْتُ عَدَمَ الْعُودَةِ لِلْمَدْرَسَةِ.  
وَأَزْدَادَاتِ حَالَتِهَا سُوءًا، فَرَأَيْتُهَا تَتَوَرَّمُ وَتَتَضَخَّمُ بِمُرُورِ الْوَقْتِ..  
وَفَشَلْتُ مُحَاطَاتِ أَهْمِ الْمُسْتَمِرَّةِ فِي مُقَابَلَتِهَا وَرُؤْيَتِهَا.

لَكُنْ بَاءَتْ كُلُّ مُحَاوَلَاتِهِ بِالْفَشْلِ. كَانَتْ كُلُّ يَوْمٍ تَزْدَادُ  
وِزْنًا وَطَوْلًا وَعَرْضًا...! فِي أَشْهُرٍ قَلِيلَةٍ أَصْبَحَتْ تَبْلُغُ مِنْ  
الطَوْلِ مِثْرَيْنِ وَنِصْفَ الْمِثْرِ. وَتَبْلُغُ مِنَ الْوِزْنِ مَا يَقْرُبُ مِنْ  
مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ كِيلُوْ جَرَامًا.

卷之四  
 卷之五  
 卷之六  
 卷之七  
 卷之八  
 卷之九  
 卷之十  
 卷之十一  
 卷之十二  
 卷之十三  
 卷之十四  
 卷之十五  
 卷之十六  
 卷之十七  
 卷之十八  
 卷之十九  
 卷之二十  
 卷之二十一  
 卷之二十二  
 卷之二十三  
 卷之二十四  
 卷之二十五  
 卷之二十六  
 卷之二十七  
 卷之二十八  
 卷之二十九  
 卷之三十  
 卷之三十一  
 卷之三十二  
 卷之三十三  
 卷之三十四  
 卷之三十五  
 卷之三十六  
 卷之三十七  
 卷之三十八  
 卷之三十九  
 卷之四十  
 卷之四十一  
 卷之四十二  
 卷之四十三  
 卷之四十四  
 卷之四十五  
 卷之四十六  
 卷之四十七  
 卷之四十八  
 卷之四十九  
 卷之五十  
 卷之五十一  
 卷之五十二  
 卷之五十三  
 卷之五十四  
 卷之五十五  
 卷之五十六  
 卷之五十七  
 卷之五十八  
 卷之五十九  
 卷之六十  
 卷之六十一  
 卷之六十二  
 卷之六十三  
 卷之六十四  
 卷之六十五  
 卷之六十六  
 卷之六十七  
 卷之六十八  
 卷之六十九  
 卷之七十  
 卷之七十一  
 卷之七十二  
 卷之七十三  
 卷之七十四  
 卷之七十五  
 卷之七十六  
 卷之七十七  
 卷之七十八  
 卷之七十九  
 卷之八十  
 卷之八十一  
 卷之八十二  
 卷之八十三  
 卷之八十四  
 卷之八十五  
 卷之八十六  
 卷之八十七  
 卷之八十八  
 卷之八十九  
 卷之九十  
 卷之九十一  
 卷之九十二  
 卷之九十三  
 卷之九十四  
 卷之九十五  
 卷之九十六  
 卷之九十七  
 卷之九十八  
 卷之九十九  
 卷之一百



جاءها الحكم بمُصادرة الطُّفلة المُستَحيلة، ووضعها تحت العناية الطَّبية والفحص المُستمر.

وَنَزَعَتْ أَشْجَانَ بِقُوَّةِ الْقَانُونِ لِإِجْرَاءِ التَّجَارِبِ عَلَيْهَا  
وَهَيَأُ الْمُسْتَشْفَى الْمَكَانَ الْمُنَاسِبَ لِهَذِهِ الطُّفْلَةِ الضَّخْمَةِ غَيْرِ  
الطَّبِيعِيَّةِ وَالتِّي يَبْلُغُ طَوْلُهَا ثَلَاثَةَ أَمْتَارٍ وَتَرِزُنْ ثَلَاثُمِائَةَ كَيْلُو  
جَرَامٍ وَحَبَسُوهَا فِي رُدْهَةٍ وَاسِعَةٍ.

أَجَلٌ...! كَانَ جَنَاحًا وَارِفًا تَرَفًّا بِالْغِ الْعَنَاءِ إِلَّا أَنَّهُ  
كَانَ بِمِثَابَةِ زَنْزَانَةٍ.. ضَاقَتْ عَلَيْهَا الدُّنْيَا وَإِنْ رَحُبَتْ. فَقَدْ  
كَانَتْ تَشْعُرُ رَغْمَ اتِّسَاعِ الْجَنَاحِ الَّذِي تُقِيمُ فِيهِ بِضِيقٍ وَأَنَّهُ  
سَيُطَبِّقُ عَلَيْهَا.

وكان أدهم رَغْمَ أَنَّهُ طَلِيقٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا أَنَّهُ حَبِيسٌ .  
يَشْعُرُ أَنَّ الدُّنْيَا قَبِيرٌ بِمَا وَسَّعَتْ لِعَدَمِ وُجُودِهَا مَعَهُ ، فَلَمْ يَعُدْ  
يَتَذَوَّقُ فِيهَا أَيَّ شَيْءٍ .

حَبَسُوهُمَا كَالْحَيَوَانِ..! كَالْوَحْشِ الضَّارِي..! فَهُمْ يَتَوَقَّعُونَ  
أَنَّهُمَا سَتَتَوَحَّشُ وَيَصْعَبُ السَّيْطَرَةُ عَلَيْهِمَا.  
وَتَبْدُلُ كُلُّ شَيْءٍ...

شكّلها الجميل.. ملامحها الدقيقة.. أخذت في الغلظة..  
أصبحت مُخيفة، مُرعبة، يظنها الرائي غولاً مُتوحشاً من  
صنع الخيال. حيواناً من حيوانات الأساطير الموحشة..!  
فكل ما فيها تحوّل، وتبدّل، وتغيّر إلا قلبها.. قلبها..!  
الذي ظلّ وحده يُعاني مأساة من صنع الآخرين.

\*\*\*









قَدَرُ ضَخَامَتِهَا وَهَوْلِهَا.. إِلَّا بِدُخُولِ الْآخِرِينَ عَلَيْهَا. هَلْ هِيَ سَجِينَةُ الْجَسَدِ.. أَمْ سَجِينَةُ تِلْكَ الْجُدْرَانِ؟ فَلَا نَافِذَةَ تَطُلُ مِنْهَا عَلَى الْحَيَاةِ وَلَا تَلِيفُزِيُونَ وَلَا رَادِيُو وَلَا صُحُفَ وَلَا كُتُبَ. زِنَانَةٌ هِيَ.. وَلَا رَيْبَ فِي ذَلِكَ حَبِيبَةُ الْجُدْرَانِ الْأَرْبَعَةِ.

عَلَى أَى ذَنْبٍ تُعَاقِبُ لِتُلْقَى فِي الْجَحِيمِ..؟ هَلْ انْتَقَلْتُ  
لِلْآخِرَةِ دُونَ أَنْ تَدْرِي؟ رُبَّمَا حَدَثَ ذَلِكَ.. لَمْ لَّا.. لَكِنِّهَا  
لَمْ تَمُتْ بَعْدَ وَلَمْ تَبْعَثْ مِنْ جَدِيدٍ..! كَلَّا.. فَمَا حَدَثَ هُوَ  
أَنَّهَا بِالْفِعْلِ فِي عَالَمٍ آخَرَ غَيْرَ ذَلِكَ الْعَالَمِ الِذِي عَرَفْتَهُ..!  
عَالَمٌ.. لَا رَحْمَةً فِيهِ، وَلَا إِنْسَانِيَةً.

هُوَ الْجَحِيمُ بَعِينُهُ .. لَكِنْ ..! عَلَى أَى ذَنْبٍ تُعَاقَبُ .. مِثْلَ  
هَذَا الْعِقَابِ؟ ظَلَّتْ حَبِيسَةً كَالْوَحْشِ الضَّارِي، الْمَفْتَرَسِ  
الَّذِي يُطْمَعُونُهُ فِي أَوْقَاتٍ مُحَدَّدَةٍ .. رَهِينَةَ الْحَيَاةِ وَتَتَمَنَّى  
حَيْثُ لَا يُجْدَى التَّمَنَّى .. الْخُرُوجَ مِنْ سَجْنِ الْحَيَاةِ وَهَلْ  
لَهَا مِنْ سَبِيلٍ فِي ذَلِكَ؟

لقد جاءَ الْحُكْمُ عَلَيْهَا وحدها. الحكمُ عَلَيْهَا بالحياة دون استئنافٍ أو نقضٍ .. حكمًا قاسيًا.. فتاةٌ محكومٌ عَلَيْهَا بالحياة!

كَمْ كَانَ حَكْمًا قَاسِيًا لَا رَادَّ لَهُ وَلَا مُعِينَ!! مَا أَصْعَبَ  
هَذَا الْحَكْمَ وَقَدْ تَمَّ تَنْفِيزُهُ..! أَصْبَحْتَ وَحِيدَةً.. فِي عَالَمٍ  
بِلا رَحْمَةٍ. عَالَمٍ تَحْكُمُهُ الْقُوَّةُ وَلَا سُلْطَانٌ لِلْإِنْسَانِيَةِ عَلَيْهِ.  
كُلُّ يَوْمٍ يَأْتِي غُرْبَاءَ.

زَوَّارٌ مُخْتَلِفُونَ مِنْ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ كَافَّةً.. ووجودها  
إِجْبَارِي فِي لِقَاءَاتِهِمْ رَغْمَ صَمَتِهَا وَعُزُوفِهَا عَنِ الْجَمِيعِ  
إِلَّا أَنَّهَا مَحَلُّ الْأَنْظَارِ.

الجميعُ يتطلعُ إليها بلا رحمة.. يُجَرِّدونها من ثيابها  
بلا خجل، ولا رحمة، أصبحت فرجة.. يستبيحها  
الآخرون.. ويتطلعون إليها في جُرأة، وقسوة وبشاعة،  
بلا استحياء.. تارةً بدْهشة وفزع، وأخرى بفضول وتطفل  
غير مُكترئين بعدم رغبتها في وجودهم.

ولكنْ ماذا تفعلْ وقدْ حبسُوهَا فِيْ غُرْفَةٍ وَاسِعَةٍ يَرْتَفِعُ  
سَقْفُهَا بَعِيدًا وَكَأَنَّكَ تَقِفُ فِي رَدْهَةِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ  
الْخِيَالِ، وَكَانَ فِرَاشُهَا كَبِيرًا لِيَنَاسِبَ جِسْدَهَا وَطُولُهَا  
وَضَخَامَتُهَا، وَكَانَ بَابُ الْغُرْفَةِ الْوَاسِعَةِ حَدِيدِيًّا لِيَضَعُ  
عَلَيْهَا قَتْحَةً.









- اقترَبْ مِنِّي .. اقترَبْ وَلَا تَخَفْ .. أريدُ أَنْ أَسْأَلَكَ شَيْئًا ..  
 اتَّسَعَتْ حَدَقَتَا غَيْنِيهِ بِنَظَرَةٍ يَمْلُؤُهَا الرِّيبُ وَالشَّكُّ مِنْهَا ،  
 كَرَرْتُ عَلَى سَمْعِهِ ..  
 - اقترَبْ ، بِاللَّهِ .. لَا تَخَفْ مِنِّي ، إِنِّي أريدُ رُؤْيَا دُنْيَا ..  
 فَاقترَبْ مِنْهَا بِجُرْصٍ ..

\*\*\*

كَانَ أَدَمُ يَهْدِي بِاسْمِهَا هَذِيانًا لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ .. يَبْدُو  
 كَشَبَحٍ مِنْ أَشْبَاحِ الظَّلَامِ غَيْرِ الْمَرْتِيَةِ ، يَمُرُّ بِحَيَّهَا ، يَطُوفُ  
 بِمَجْلِسِهَا الْقَدِيمِ ، عِنْدَ شَجَرَةٍ حَبِيهَا ، كَعَابِرِ سَبِيلٍ .. !  
 تَرَاهُ سَقِيمًا ، يَجُرُّ سَاقِيَةَ جَرًّا .. وَكَأَنَّ الْعِشْقَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ  
 عَلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا وَأَرْضِهَا .. كَانَ لِرَازِمَا عَلَيْهِ حَمْلُهُ وَحَدَهُ ..  
 عِنْدَمَا بَلَغَهَا أَمْرُ أَدَمَ وَتَغَيَّرَ أَحْوَالُهُ ، وَتَبَدَّلَهُ ، وَهَذِيانُهُ  
 بَتْرَانِيمِ كَرْبِهِ شَعْرًا عَنْ طَرِيقِ الْحَارِسِ ، سَمَحَتْ لَهُ ، فَهُوَ  
 كُلَّ يَوْمٍ يَأْتِي لِمُقَابَلَتِهَا لِيَعُودَ حَزِينًا وَحِيدًا ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُلْ ،  
 أَوْ يَتَعَبَّ ، أَوْ يَتَوَقَّفَ عَنْ مُحَاوَلَاتِهِ فِي الْإِلْحَاحِ لِرُؤْيَاهَا ..  
 حَتَّى أَذْنَتْ بِمُقَابَلَتِهِ ..

وَعِنْدَمَا بَلَغَ أَدَمُ ذَلِكَ الْخَبَرِ شَعَرَ أَنَّ الدُّنْيَا أَضِيقُ مِنْ  
 أَنْ تَتَّسِعَ لِسَعَادَتِهِ ، كَانَ مَوْعِدُهُ مَعَهَا السَّاعَةُ الثَّامِنَةُ مَسَاءً



## دموع التماسيح

عندمَا فَتَحَ لَهُ الْحَارِسُ بَابَهَا، شَلَّتِ الْمَفَاجَأَةُ حَرَكَتَهُ،  
ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا يَجْرُ سَاقِيهِ جَرًّا، يَرْفَعُ رَأْسَهُ وَعَيْنَيْهِ،  
يَسْبِقُهُ قَلْبُهُ إِلَيْهَا مُرَدًّا:

— هل سَأَرَاهَا الْآنَ؟ أَحَقًّا سَأَرَاهَا؟

فَجَاءَ وَجَدْتَهُ أَمَامَهَا.. مَنْ؟ أَدُهُم..!! كَلَّا..!

لَمْ يَكُنْ هُوَ بَلْ كَانَ شَبَحًا مُتَحَرِّكًا .. مِنْ شِدَّةِ قَلْقِهِ  
وَحُزْنِهِ عَلَيْهَا .. كَانَ شَدِيدَ الشُّحُوبِ بَلْ كَانَ يَبْدُو كَجِثَّةٍ  
أَفْلَتَتْ مِنَ الْقَبْرِ .. يَدْنُو مِنَ الْمَوْتِ .. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ .

حَاولت.. وَبَاطِلًا حَاولت الاختفاء عَنْ نَظَرِيهِ

دَوْنِ جَدُوں..

فرغمَ مَا بِهَا مِنْ عِلَلٍ مَجْهُولَةٍ كَانَتْ تَدْرُسُ جَسَدَهَا  
وتَحْصِدُ شَبَابَهَا، إِلَّا إِنَّهَا كَانَتْ فِي انتِظَارِ الْمَوْتِ.

كَانَ صَغِيرَ الْحِجْمِ جِدًّا أَمَامَهَا.. فَلَمْ يَتَعَدَّ رُكْبَتَهَا  
فَعُنْقُهُ تَكَادُ لَا تَبْلُغُ رُكْبَتَهَا.. بِالْكَادِ تَلَامَسَهَا فَجَلَسَتْ عَلَى  
فِرَاشِهَا وَضَعَتْ سَاقَيْهَا شِبْهَ جَالِسَةٍ وَرَاحَ أَذْهُمُ يَتَحَدَّثُ



- بل فداؤك أنت الدنيا وما فيها.  
كانت نبضات صوته تدلُّ على أنه لا يزال فريسة  
الحزن الذي رأت علاماته عند مُقابلته آخر مرة فألحت  
عليه بسؤالها:

- أدهم.. لا تبك.. كفك حُزناً على.. لا تحف، وانتبه  
إلى نفسك، لأنَّ الحزن على ما حدث لن يشفيني ويُنجيني  
مما نزل بي.

وتذكرُ كلماته مُداعبةً إياه في محاولة بريئة لطيفة منها  
لإخراجه مما هو فيه:

- هنا لا تقع العين على غيري ولا غيرك.. ولا يطلع  
إنسان على سرِّي ولا سرِّك. ما أعجب المُلتقى يا حبيبتي..  
لم أصدق ذاتي..

أأنت معي مرة أخرى؟

يكسوها الحزنُ رغباً عنها، فتفتُر ابتسامتها وتنحسرُ  
وهو يعاودُ قائلاً:

- قد يهونُ العمرُ إلا ساعة رِضاك.. وتهونُ الأرضُ  
والدنيا إلا موضعَ قدميك.

- كَمْ تُهَوُّنُ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ تِلْكَ يَا أَدَهْمُ شَرًّا مَا أَنَا فِيهِ مِنْ  
 بَلِيَّةٍ وَعَذَابٍ.. فَمَا زِلْتَ تَتَغَنَّى بِي يَا أَدَهْمُ حَتَّى بَعْدَ فِرَاقِنَا.  
 - كَلَّا.. لَمْ نَفْتَرِقْ.. وَلَنْ نَفْتَرِقَ.. بَلِ وَسَاعِنِي بِكَ  
 وَلِكَ مَا دُمْتُ حَيًّا.. يَقُولُونَ بِهَا غَنَى.. قَدْ غَنَيْتُ مِنْ كَرْبِي.  
 - أَتُرَانِي يَا أَدَهْمُ.. كَيْفَ أَصْبَحْتُ..!

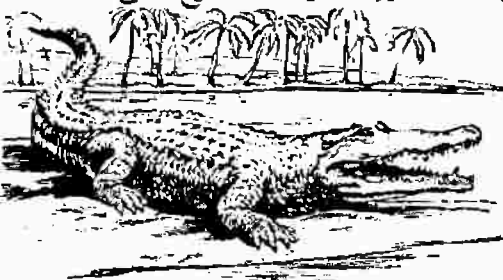
تَمَلُّأُ عَيْنَاهُ الْحَبِّ وَهُوَ يَقُولُ: مَا زِلْتُ بِعَيْنِي فَرَاشَتِي،  
 طِفْلَتِي الْجَمِيلَةَ، سَتَظْلِيْنَ هَكَذَا حَتَّى آخِرِ الْعُمْرِ.

- طفلة...!

– الطِفْلَةُ أَصْبَحَتْ مُسْتَحِيلَةً الْآنَ يَا أَدَمُ...!! أَجَلٌ،  
فَأَنَا الطِفْلَةُ الْعَجِيبَةُ، الْمُسْتَحِيلَةُ الَّتِي لَا مِثِيلَ لَهَا، وَلَا شَبِيهَ  
لَهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا.

تَنْفُضُ شَعْرَهَا الطَّوِيلَ لِلْخَلْفِ فِتَبْدُو كَجَنِيَّةٍ عَجِيبَةٍ،  
أَوْ عُرُوسٍ مَنَحُورَةٍ مِنْ عَرَائِسِ الْأَسَاطِيرِ، وَتَتَنَهَّدُ وَهِيَ  
تَجْمَعُ أَشْيَاءَ نَفْسِهَا لَتَقُولَ بِمَجَرَّدِ أَنْ رَأَتْ الدُّمُوعَ عَلَى  
خَدَّيْهِ:

كفأك دُمُوع التماسيح  
تلك.. إذا كنت حقًا تحبُّني  
فَمَا يُبْكِيكَ الْآنَ؟













- وهل لي من حياة معك بعد الآن يا أدهم؟!  
صرخ بقوة: ستعودين مثلما كنت.. ستعودين من أجلي  
أنا.. ومُستحيل.. قاطعته:

- لست الشيء الوحيد المستحيل في هذه الدنيا يا أدهم،  
وإنما علاجي أيضا مُستحيل، وحينًا أيضًا أصبح مُستحيلًا.  
صرخ بعنف وصوته ثَمَزَقه الدموع:

- كلا.. يا أشجان.. إنني أَسْتَحْلِفُكَ بِالرَّحْمَنِ أَلَّا تَقُولِي  
هذه الأقاويل.. فالمحال هو فراقنا.. وسيظل حبنا إلى الأبد  
رغم كل ما حدث وما يحدث. قالت بتنهيدة طويلة:  
- وما سيحدث..!

ثم استمرت تقول: لقد فلتت من ظلمة الرحم، ولكن من  
يُنقذني من ظلمة الحياة الآن. أبحث عن لحظة واحدة..  
لحظة راحة.. لحظة يغيب فيها عقلي.. فلا أفكر. لحظة  
يضيع فيها وعيي.. فلا أدرك ما أنا فيه لينقذني من هذا  
العذاب ومن هذه الحياة؟

كيف تعذبين وأنا بجانبك يا أشجان؟ فما فائدة وجودي  
إن في هذه الدنيا إذا لم أستطع تخفيف آلامك وأحزانك؟

وماذا في الأمر من حديثي؟ إنني لا أرى هناك سوى مرضٍ وضخمه وفعلوا منه أسطورة لا تُقهر رغم ضآلته أمام حُبِّي الكبير.. آه.. يا أشجان لو تعلمين ما أحمله لك من حُب.. لو كان بوسعِي أن أحملَ عنكِ ما أنتِ فيه ما ترددتُ لحظة واحدة في ذلك؟

— أَعْلَمُ يَا أَدَهْمُ أَعْلَمُ.

وأخفت وجهها بينَ كفيها لتتجنب. وكَمْ جاءتها  
كلماته تلكَ لتلتف في عباءة من الدفءِ والحبِّ لتقيها  
بَرْد الوحدةِ القارسِ وتخفف عنها هذه المأساة.. وتغيب  
عن الوعي في سكرة من الحبِّ لتنسى كلَّ شيءٍ ولكنها لم  
ترغب في الاستسلام لهذا المخدرِ العذب ولو للحظات.  
همست له قائلةً: إنني سَجينة يا أدهم..

وَأَنَا مِثْلِكَ سَاجِدِينَ.. لَقَدْ ضَاقَتْ الدُّنْيَا بِعَدِكَ عَلَيَّ  
بِمَا رَحُبْتُ.. وَلَكِنْ غَزَائِي الْوَحِيدُ هُوَ الْأَمَلُ فِي الشِّفَاءِ  
وَالْعِلَاجِ لِأَنَّكَ قَطْعًا سَتَعَالِجُنِي وَلَا مَحَالَةَ فِي ذَلِكَ.  
بَكَتُ وَارْتَفَعَ عَوِيلُهَا فَهَمَسَ يَقُولُ: وَلَكِنِّي سَأُظِلُّ مَعَكَ..  
وَلَنْ أَدْعَ مَجَالًا لِلْيَأْسِ مِنْ عِلَاجِكَ، وَكُلِّي أَمَلٌ فِي الشِّفَاءِ





## الأمومة.. سر إلهي..!

أَصْبَحَتْ خَيَالًا مِنْ خَيَالِ الْوُجُودِ .. شَبَحًا مِنَ الْأَشْبَاحِ الَّتِي  
لَا وَجُودَ لَهَا .. مِنْ فَرِطَ مَا بَيْنَهَا مِنْ حُزْنٍ عَلَى حَبِيبَتِهَا أَشْجَانَ ..  
وَحَانَ اللَّقَاءُ ..

فَقَدَّتْ وَحِيدَتَهَا الَّتِي حُرِّمَتْ مِنْ أَجْلِهَا، وَفِي سَبِيلِهَا، مِنْ  
سَائِرِ نِعَمِ الْحَيَاةِ.. فَإِذَا الْحَيَاةُ تَسْلُبُهَا كُلَّ مَا تَبَقِيَ لَهَا.. فَقَدْ  
قَامَرَتْ بِكُلِّ مَا لَدَيْهَا، فَلَمَّا خَسِرَتْ خَسِرَتْ كُلَّ شَيْءٍ..  
وَجَاءَتْهَا تَحْمِلُ عَرَائِشَهَا الْمُتَحَرِّكَةَ، وَكُتُبَ الْأَسَاطِيرِ  
وَالْحِكَايَاتِ، وَقِصَصِ الْأَدَبِ وَطَرَائِفِهِ.

جَذَبَتْهَا أَشْجَانُ لِتَجْلِسَ عَلَيَّ سَاقِيَهَا وَتَقْبِلَهَا، وَجَاهَدْتُ  
وَمَنِي تَحَاوُلُ أَلَا تَبْكِي أَمَامَهَا.. وَلَكِنْ كَانَ مِنَ الْعَسِيرِ عَلَيْهَا أَنْ  
تَتَمَالَكْ نَفْسُهَا وَهِيَ تَرَاهَا بِهَذَا الْحَالِ.

- أَشْجَانُ.. إِش إِش.. صَغِيرَتِي، أَلَمْ تَشْتَاقِي لِأَصْدِقَائِكَ..  
كُوكِي يَسْأَلُ عَنْكَ.

وَإِذَا أَخَذَ يَصْدُرُ أَصْوَاتُهُ الْمُتَلَاحِقَةُ مُهَلَّلًا لِرُؤْيَاهَا وَيَقْفُزُ مُتَدَرِّجًا  
بِجَسَدِهَا، حَتَّى وَصَلَ إِلَى رَأْسِهَا.. يَتَعَلَّقُ بِهَا، يَقْبِلُهَا، يَدَاعِبُهَا.

ولأول مرة تبتسم أشجان بعد دخولها المستشفى، لقد استطاعت أمها دنيا وحدها أن تعيد إليها ابتسامتها وتهديتها وقالت لها: ستشفى وتعودين مثلما كنت.. فراشة، رقيقة، جميلة. امتلأت عيناها بالدموع فأردفت:

– صَدَّقْنِي يَا صَغِيرَتِي. سَتُعَوِّدِينَ تَرْقِصِينَ.. تَجْدِينَ  
أَدَهُمْ فِي انْتِظَارِكَ، فَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ مَعْدُودَاتٌ.. وَسَتَتَغَيَّرُ  
كُلُّ هَذِهِ الْأَحْوَالِ الطَّارِئَةِ، لَتُعَوِّدِي مِثْلَمَا كُنْتُ.

وعندئذٍ لَنْ يَسْتَطِيعُوا حَرَمَانِي مِنْ حُضُورِ حَفَلَاتِكَ  
لِمُشَارَكَتِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَرَاحَتِ دُنْيَا تَعِيدُ عَلَيَّ مَسْمَعَهَا  
صَوْرًا مِنَ الْمَاضِي الْجَمِيلِ، لَتُخَفِّفَ بِهَا وَطْءَ الْحَاضِرِ الْبَشِعِ.  
وَشَرِدْتُ أَشْجَانٍ وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى كَوُكُبِي وَتَعِيدُ صُورَ حَيَاتِهَا  
الْمَاضِيَةِ، الْمَاضِي الْقَرِيبِ.

منذ شهور، شهور فقط. كانت كحورية من حوريات  
الجنة، ترقص، تجرى، تحلق بعيداً عن الدنيا.. وراحت  
للحظة تستعيد كل هذا بدفء الماضي وثوب المستحيل..  
ولقاء أدهم.. وشجرة الحب.. وشارع الأمان.. وروعة  
المكان الذي يسيران فيه. كم كانت أيام.. وقتها لم يستطع

الْحَزْنَ أَنْ يَسْلَكَ طَرِيقًا إِلَيْهِمَا يَوْمًا مَا. فَإِذَا بِالْحَيَاةِ وَكَأَنَّهَا  
كَانَتْ تَدْخُرُ كُلَّ عَذَابِ الدُّنْيَا وَبَلَاءِهَا لَتَهْدِيهَا إِلَيْهِ، فِي  
صَبَاحِهَا، وَفِي أَجْمَلِ فُتْرَاتِ شَبَابِهَا.

كَمْ أَسْعَدَهَا هَذَا اللَّقَاءُ، وَبَدَّدَ وَحَشَتَهَا.. دُنْيَا وَأَدْحَمَ  
بِمُشَارَكَتَيْهَا فِي مَأْسَاتِهَا الَّتِي لَا حِيلَةَ لَهَا فِيهَا وَلَا شَفَاعَةَ  
وَهِيَ مَرَضُهَا.

非 非 非

ظَنَّ العلماءُ أَنَّ حَالَةَ أَشْجَانٍ تَحَسَّنَتْ بِمُقَابَلَتِهَا  
لأَدْهَمَ وَدُنْيَا.. وَأَنَّهَا سَتَسْتَجِيبُ لِلطَّعَامِ وَالتَّحَالِيلِ  
طَوْعًا مِنْهَا لَا قَسْرًا عَنْهَا، إِلَّا أَنَّهَا ظَلَّتْ تَرْفُضُ الطَّعَامَ  
وَتَمْتَنِعُ عَنِ الْكَلَامِ طَوَالَ الْوَقْتِ.. لِأَنَّهَا غَيْرُ مَتَوَقَّعَةٍ  
الْعِلَاجَ الشَّافِي لِحَالَتِهَا.

وَوَظَلْتُ أَشْجَانُ أَوْقَاتَهَا فِي تَرْقُبٍ وَانْتِظَارٍ لِلنَّهَايَةِ، كَمَا  
تَتَرَقَّبُ سَاعَةَ الْمَوْتِ، لِتَحْفَلَ بِهِ لِيَنْقِذَهَا مِنْ هَذَا الْحَمْلِ  
الَّذِي بَاتَتْ تَفْقُدُ قُدْرَتَهَا عَلَى تَحْمُلِهِ.

كَانَ الْقَرْدُ الشَّقِي كُوكِي هُوَ الْوَحِيدُ فِي هَذِهِ الْمَهْزِلَةِ  
وَالْمُسْرَحِيَّةِ التَّرَاجِيدِيَّةِ الَّتِي يَتَقَاسَمُونَ أَدْوَارَهَا رَغْمًا عَنْهُمْ .

هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي يُسْعِدُهُ رُؤْيَاهَا فَكَذَا، رُبَّمَا لَغْرَابَتَهَا عَنِ  
الْآخِرِينَ وَرُبَّمَا لِعَدَمِ إِدْرَاكِهِ كُلِّ مَا حَدَثَ.  
ذَلِكَ لِأَنَّ كُوكِي، لَا يَحْزَنُ وَلَا يَيْئَسُ، مَا أَسْعَدَهُ خَالًا بَلْ  
مَا أَسْعَدَتْ تِلْكَ الْكَائِنَاتِ الَّتِي يَبْدُو لَا عَقْلَ لَهَا وَلَا اخْتِيَارَ.  
لَكِنْ...!!

كَانَتْ أَشْجَانُ تَنْظُرُ إِلَيْهِ، تَتَابَعُ تَعَجُّبُهُ، تَغْبِطُهُ أَشَدَّ  
الْإِغْتِبَاطِ لَمَّا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ نِعَمٍ لَا يَدْرِكُهَا وَقَالَتْ لَهُ:  
- كَمْ كُنْتُ أَتَمَنَّى لَوْ أَصْبَحْتُ مِثْلَكَ أَنَا الْآخَرَى.. انْظُرِي  
يَا أُمِّي الصَّغِيرَةَ كَمْ هُوَ فَرِحُ بِلِقَائِي وَرُؤْيَايَ هَكَذَا!!  
لَمْ تَمُضْ لِحِظَةً مِنْ لِحَظَاتِ أَشْجَانِ إِلَّا وَكَانَتْ تَتَمَنَّى  
فِيهَا الْمَوْتَ وَالْخَلَاصَ مِنْ حَيَاتِهَا وَسُجْنِهَا، رَحْمَةً بِهِمْ  
أَيْضًا، حَتَّى لَا تَوَلِّهُمُ، وَتُعَذِّبَهُمْ بِرُؤْيَاهَا هَكَذَا فَيَزِيدَهَا  
عَذَابًا فَوْقَ عَذَابِهَا.

❖ ❖ ❖

كَانَتْ أَشْجَانُ تُعَانِي تِلْكَ الْمَعَانَاةَ الْهَائِلَةَ الَّتِي تَجْدُ  
رَغْبَةً قَوِيَّةً .. رَغْبَةً غَارِمَةً تَجْتَاحُهَا لِلتَّعْبِيرِ عَنْهَا، بَلْ  
لِلبُوحِ بِهَا، وَكَأَنَّ فِي ذَلِكَ رَاحَةً لَهَا، لِتَفْرِغَ مَا تَحْمِلُهُ  
مِنَ الْآلَامِ وَالشَّقَاءِ.

تَشْعُرُ بِحَاجَةٍ مَاسَةٍ لِكِتَابَةٍ كُلِّ مَا يَجْتَاحُهَا وَكَأَنَّهُ حِمْلٌ  
ثَقِيلٌ تَنْوَأُ بِحِمْلِهِ. فَسَتُلْقِي هَذَا الْعَبَاءَ الثَّقِيلَ، وَتَلِكَ الْمَاسَةَ  
الْغَرِيبَةَ بِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ هَوَاجِسٍ وَشُكُوكٍ عَنْ كَاهِلِهَا، لَتَلِكِ  
الْأَوْرَاقَ عَلَيْهَا تَهْدَأُ وَتَسْتَرِيحُ.

\*\*\*

عَثَرْتُ مُضَادَفَةً أَحَدُ أَعْدَاءِ تَلَامِيذِ أُنتِينُورِي، وَكَانَ شَدِيدَ  
الْعَدَاوَةِ وَالْكَرَاهِيَةِ لَهُ، عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي تَجَرِبَةِ اسْتِعَادَةِ  
أَشْجَانٍ وَخُرُوجِهَا لِلْحَيَاةِ مِنْ جَدِيدٍ.. وَلَمَّا كَانَ الْعَالَمُ يَتَابِعُ  
حَالَةَ أَشْجَانٍ بِمَا فِيهِمْ أُنتِينُورِي، فَقَدْ رَفَعَ الْأَمْرَ لِلْقَضَاءِ.  
وَقَامَتْ وَقْتُهَا كُلِّ مِنَ السَّفَارَةِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْمَكْتَبِ الثَّقَافِيِّ  
وَالْإِعْلَامِيِّ بِنَقْلِ الْأَمْرِ، وَإِرْسَالِ كُلِّ مَا يَشَاعُ عَنْ تَجَرِبَةِ  
أَشْجَانِ الْعِلْمِيَّةِ بِمُسْتَشْفَى (الاستنساخ والولادة) إِلَى الْأَنْبَاءِ  
الْمِصْرِيَّةِ.

وَلَمْ تَمُرْ لِحِظَاتٌ مِنْذُ إِعْلَانِ هَذَا النَّبَأِ إِلَّا وَتَدَاوَلَتُهُ جَمِيعُ  
الصَّحَافِ وَوَسَائِلِ الْإِعْلَامِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ لِدَرَجَةٍ أَنْ  
اطْلُقُوا عَلَيْهَا اسْمَ حَوَاءَ (EVA)، رَمَزًا لِأَوَّلِ أَنْثَى مُسْتَنْسَخَةٍ  
فِي الْعَالَمِ.. وَأَوَّلِ طِفْلَةٍ وَحَالَةٍ بَشَرِيَّةٍ مِنْ نَوْعِهَا.



قَصَّةُ حَيَاتِهَا، لِتَعْرِفَ فَجِيعَةَ شُكُوكِهَا وَأَنَّ مَا شَعُرَتْ بِهِ  
لَمْ يَكُنْ بَاطِلًا هِبَاءً وَتَجْنِيًا. بَلْ كَانَتْ كُلُّ شُكُوكِهَا فِي  
مَوَاقِعِهَا، وَأَنَّ دُنْيَا هِيَ أُمُّهَا، فَهِيَ الْبَتَى حَمَلَتْهَا وَهَنَا  
عَلَى وَهْنٍ، وَفَصَالَهَا وَرَعَايَتَهَا وَحِبِّهَا لَهَا. وَعَرَفَتْ أَشْجَانَ  
حَقِيقَةَ وَجُودِهَا وَسِرَّ حَيَاتِهَا، وَمَا كَانَتْ تَخْفِيهِ عَنْهَا أُمُّهَا  
وَرَاحَتْ تَغْمُضُ عَيْنَيْهَا.

فَإِذَا تَرَى كُلَّ شَيْءٍ .. أَمَامَهَا .. وَكَأَنَّهُ يَحْدُثُ الْآنَ  
فَقَطُّ .. تَسْتَعِيدُّ اللَّحْظَاتِ الَّتِي كَادَتْ تَعْذِيبُهَا مِنْ قَبْلُ دُونَ  
تَفْسِيرٍ ، فَهِيَ الْآنَ تَعَثِّرُ عَلَى ضَالَتِهَا الْمُنْشَوْدَةِ وَالسَّرِّ  
الضَائِعِ ، وَتَحُلُّ اللَّغْزَ الْعَسِيرَ الَّذِي طَالَمَا حَيَّرَهَا وَكَمْ عَذِيبُهَا  
طَوِيلًا . فَهِيَ بِلَا أَبٍ ، وَأُمٍ . كَلَّا .. إِنَّهَا لَيْسَتْ أَمَامَهَا ..  
فَهِيَ أُمٌ شَقِيقَتُهَا .. تَوَأَمُهَا الرَّاحِلَةُ الَّتِي نَزَعُوا مِنْهَا  
الْخَلَايَا وَأَسْتَبَاحُوا قَبْرِهَا ، أَمَّا دُنْيَا فَهِيَ بِلَا شَكٍّ أَمَامَهَا  
وَلَا مَحَالَةٍ فِي ذَلِكَ . وَانْفَرَدَتْ إِحْدَى الْمَجَلَاتِ بِنَشْرِ كَافَةِ  
التَّفَاصِيلِ بِمُنْتَهَى الدَّقَةِ وَالصَّدَقِ ، وَلَمْ تَكُنْ أَشْجَانُ وَحْدَهَا  
هِيَ الَّتِي تَقْرَأُ كُلَّ هَذِهِ التَّفَاصِيلِ ، بَلْ قَرَأَهَا كُلُّ مَنْ أَدَهَمَ  
وَدُنْيَا وَالْأُمُّ ضَحِيَّةُ .

كانت قصتها ناقصة غير كاملة، فلم تكتب المجلة تفاصيل شعورها وإحساسها مما جنته من جراء تلك التجربة، ورغبة الأم في أن تصبح أماً بآية وسيلة وبأى ثمن. وراحت تقضى وقتها كله في كتابة وسرد رسالتها.. إنها أطول رسالة كتبتها في حياتها، بل أطول رسالة كتبت في التاريخ.. فهي لم تكن رسالة وحسب.. بل كانت حياتها كلها التي كان لزاماً عليها إكمال ما ينقصها. وأوصت الحارس منذ بداية الشروع في كتابتها أن يُسلم تلك الرسالة لشخص واحد فقط.. هو أدهم.. ليطلع عليها ويقرأ كل ما بها لتكون لديه وحده الحكاية كاملة، غير ناقصة، ولا مبتورة.

وعندما أتتها دنيا سألتها أشجان:

– هل كنت تعرفين أنني مُستنسخة؟

- كنتُ أعرفُ أنني أحملُ بُوَيضةً ضحيّةَ المخصبةِ في رحمي ؛ لأنها لم تستطعْ حملَ هذهِ البويضةِ ، وهناك خللٌ ما في رحمها يطردُ البويضات منها. وبالتالي كان دوري











سائر الخلق كانت في كل مرة تعود لترتدى ثوب الصبر..  
قسراً وعمداً. لكن..! ثوب الصبر هذه المرة مُمزق بفراقها..  
فراحت ترقعه بالحلم الكبير. ولكن حتى هذا الحلم لم يعد  
من حقها إذ كيف ستجنب في هذا العمر المتقدم ومن هنا  
بدأت الحكاية: حكاية أم... رفضت بإصرار شديد وضع  
طفلتها الوحيدة.. الصغيرة، التي لم تتجاوز الثالثة من  
عمرها بعد، في تابوت الموت.. وظلت تطبق عليها بين  
أحضانها خوفاً من هذا الحشد الهائل، والسواد الذي  
ملأ قاعة البيت الفسيحة. وبسرعة ارتدى نساء الجيران  
والعائلة والأقارب رداء الحفل الذي سيقام بعد قليل لتأبين  
طفلتها الوحيدة في حفل وداع.

تلك الحفلة الوحيدة التي يحدد فيها لون الرداء.  
الكل مُغطى بالسواد.. وكلما اقترب الأب «سرحان» من  
ضحية؛ ليأخذ الطفلة لإعدادها للدفن صرخت وراحت  
تحدثها في هيسيريا بالغة: لماذا لا تصرخين..؟

قُولِي لَهُمْ إِنَّكَ لَمْ تَمُوتِي بَعْدَ.. وَإِنَّكَ لَنْ تَتْرَكِيْنِي وَحْدِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا. وَرَاحَتٌ تَدُورُ فِي أَرْجَاءِ غُرْفَةِ النَّوْمِ بَيْنَ







إِلَى فِرَاشِهَا فَوُجِدَتْ الصَّحِيفَةُ اليَوْمِيَّةَ بِجَوَارِ الْفَرَاشِ فَوْقَ  
«الْكُومُودِينُو»، فَرَاخَتْ تَتَصَفَّحُهَا دُونَ اكْتِرَافٍ، وَفَجْأَةً  
فَتَحَّتْ عَيْنِهَا لِأَقْصَى مَا تَسْتَطِيعُ وَهِيَ تَقْرَأُ عُنْوَانًا:

«أبو الأطفال المستحيلين».. طبيبٌ إيطالي ينجح في إعادة الأمل للنساء المُسنَّات، ومرضَى العُقم، وسنَّ اليأس.. حيثُ استطاعت سيدةٌ في الستين من عُمرها إنجاب طفل بعد زراعته بويضةً في رَحِمها.

وتَحَرَّكَتْ نَظَرَاتُ ضَحِيَّةَ لِتَعْيِدَ مَا قَرَأَتْهُ بَانِدَهَا شِ مَرَّةً أُخْرَى.. وَبِسُرْعَةِ الْبَرْقِ لَمَعَتْ مِثَالُ الْأَفْكَارِ فِي رَأْسِهَا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَكَمْ تَمَنَّى زَوْجُهَا عَوْدَتَهَا إِلَى طَبِيعَتِهَا بَعْدَ فَقْدَانِهَا طِفْلَتَهَا الْوَحِيدَةَ.. وَبِالْقَطْعِ لَنْ يُرْفَضَ طَلِبُهَا هَذَا، حَلَلْتُ تَنَادَى عَلَيْهِ :

فَأَسْرَعَ إِلَيْهَا يَمْلُؤُهَا الْفَرْحَ وَالْبَهْجَةَ، فَمَوْ لَمْ يَسْمَعْ  
صَوْتَهَا مِنْذُ أَمَدٍ طَوِيلٍ، فَسَأَلَتْهُ بِتَلَطُّفٍ وَدَعَا وَحْنِي تُعْطِيهِ  
الصَّحِيفَةَ لِيَقْرَأَ:

بِالطَّبْعِ كَانَ يَعْلَمُ جَيِّدًا مَا يُؤْلِمُهَا، وَقَرَأَ الْخَبَرَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا  
فَرَأَتْ تَحْتَهُ عَلَيَّ إِتْمَامَهُ. وَعِنْدَمَا انْتَهَى مِنْ قِرَاءَتِهِ،







لَمْ تَنْتَبِهْ ضَحِيَّةً لِكُلِّ هَذِهِ التَّفَاصِيلِ ، وَلَمْ تَسْمَعْ سِوَى  
جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ تَوْقَفُ سَمْعَهَا عِنْدَهَا «اسْتَنْسَاخُ الْمَوْتَى»  
وإِعَادَتِهَا مِنْ جَدِيدٍ إِلَى الْحَيَاةِ ، كَانَتْ تَتَرَدَّدُ عَلَى مَسْمَعِهَا  
دُونَ سَائِرِ التَّفَاصِيلِ الْآخَرَى .

— قالت كطفلة تتشبَّثُ بلعبتها الجديدة :

رَدَدَ بِفَرْعٍ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ أَصَابَهَا مَسٌّ مِنَ الشَّيْطَانِ  
فَرَأَتْ تَتَخَبَّطُ فِي رَغَبَاتِهَا وَأَمَالِهَا :

- تَعُودُ إِلَيْنَا؟ وَقَدْ مَاتَتْ !!





## الطفلة حواء (EVA) المستنسخة..!

كَانَ وَاجِعًا طَوَالَ الطَّرِيقِ حَتَّى فَزَعَ فِي وَجْهِهَا:

- مُستحيل مُشاركتك في هذه المهزلة.

- آية مهزلة تلك التي نتحدث عنها؟

— أَتُظَنِّينَ أَنِّي سَأَظِلُّ أَلْبَيَّ رَغْبَاتِكَ تِلْكَ بَدُونِ

تَفَكِّرْ؟ مَاذَا بِكَ؟ بَلْ مَاذَا دَهَكَ؟ إِنَّ رَغْبَتِكَ فِي

الأمومة تجعلك تقولين شططاً، وترغبين عجبا،

استنسخ ابنتنا الميتة !! لماذا؟ لسنا أول، ولا آخر من

تموت طفلتهما الوحيدة!!

- لَكُنِّي الْأُمُّ الَّتِي ثَكِلَتْ ابْنَتَهَا وَلَنْ تُنْجِبَ سِوَاهَا

أبدًا.. فأنت لا تشعرُ بي، فقلبي يحترقُ بفراقها، ولنْ

أستطيع تعويضها.

وراحتُ تنتحبُ وارْتَفَع عَوِيلُهَا لِيَمْلَأَ كُلُّ شَيْءٍ حَوْلَهُ

فَعَادَ يُهْدِيهَا قَائِلًا :

- يَا حَبِيبَتِي، كُلُّ نَارٍ، تَهْدَأُ لِتَصْبِحَ رَمَادًا، وَمَنْ

المستحيل أَنْ تَظَلِّيَ هَكَذَا.

— لَكِنَّ نَارَ فِرَاقِهَا سَتَظَلُّ مُشْتَعِلَةً لِتَأْكُلَ كُلَّ مَا تَبَقِيَ فِي  
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، حَتَّى أَلْحَقَ بِهَا.

وارتفع صوتُ بكائها، فاقتربَ منها قائلاً:

- اهدنی یا حبیبتی، وافعلی ما تشائین۔

ومسح دموعها ثم راح كعادته يداعبها قائلا:

— أَلَا تَرَيْنَ أَنَّنَا لَأَوَّلُ مَرَّةٍ نَنْزِلُ رَوْمًا، فَهَيَّا بِنَا نَنْتَزِعُهُ فِي

شوارعها، علك تنسين قليلا، أو تهذين.

أسرعت مُهرولة إلى فراشها قائلة :

- كَلَّا، لَا أَسْتَطِيعُ، فَأَنَا أَسْتَعْجِلُ الْغَدَّ، حَتَّى أَقَابِلَ

الدكتور أنتينوري و..

قاطعہا مُتَعَجِبًا :

- لكن الساعة لا تزال الخامسة مساءً.

تثاقلتُ قائلة :

- كَمْ يَمِضِي الْوَقْتُ بَطِيئًا، لَكِنِّي سَاحَاوُلُ النَّوْمِ الْآنَ

حَتَّىٰ أَتَعَجَلَ الْغَدَ، وَلَا أَرِيدُ أَنْ اسْتَيْقِظَ إِلَّا غَدًا.

ثُمَّ تَحَرَّكَتْ عَيْنَاهَا الْحَاثِرَتَانِ يَمِينًا وَشِمَالًا تَسْأَلُهُ :



المُخْرَنَةُ فِي بَنُوكِ الْأَجْنَةِ وَالْأَعْضَاءِ وَغَيْرَهَا. كَانَتْ هَذِهِ فِي  
الْمَحَاوِلَةِ رَقْمِ أَرْبَعَمِائَةٍ بَعْدَ الْأَلْفِ فِي حَالَاتِ الْمَوْتِ وَطَوْتُ  
الْمَلَفِ فَرِحَةَ مُسْتَبْشِرَةٍ وَتَوَجَّهَتْ إِلَى أَنْتِينُورِي قَائِلَةً :

— هَلْ حَدَدْتُ مَوْعِدَ السَّفَرِ إِلَى الْقَاهِرَةِ لِنَزْعِ الْعَيْنَاتِ؟

- إِنِّي سَاسَفِرُ وَأَعُودُ فِي ذَاتِ الْيَوْمِ قَدْرَ إِمْكَانِي.

وَلَفَّتْ ذِرَاعَهَا حَوْلَهُ وَهِيَ تَقُولُ :

- كَمْ أَنَا مُنْفَاثِلَةٌ لِهَذِهِ التَّجَرِبَةِ يَا أُتْتِينُورِي، إِنَّهَا

ستجعلُ للموتِ علاجًا.

- بَلْ سَيَكُونُ الْمَوْتُ مُجَرَّدَ مَرَحَلَةٍ اِنْتِقَالَ مِنْ جَسَدٍ

لَاخِرَ، لِيَتَحَقَّقَ حُلْمُ الْأَبَدِيَّةِ.

وَعَادِرَ الثَّلَاثَةِ إِيطَالِيَا سَوِيًّا، عَلَى أَنْ يَعُودَ هُوَ بِمُفْرِدِهِ

حَتَّى يَتِمَّ إِعْدَادُ وَتَجْهِيْزُ الْمَادَّةِ الْوَرَاثِيَّةِ وَزَرْعُهَا فِي إِحْدَى

البويضات المجمدة بعد تفريغها من مادتها الوراثية

الأصلية وتوفير الأنثى البديلة لحمل البويضة بعد إجراء

جميع التحاليل والفحوص عليها والاتفاق معها. وحذرهم

بشدة لخطورة الأمر وعدم اطلاع أى أحد على هذا السر

وَتِلْكَ التَّجْرِبَةُ.



وَانْبَعَثَ رَائِحَةُ الْأَمْوَاتِ مِنْ بَيْنِ الْقُبُورِ، لِتَثِيرَ فِي  
نَفْسِهَا الرُّعْبَ وَالذَّعْرَ مِنْ جَدِيدٍ.

تُحِيطُهَا الْأَشْبَاحُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَالْخَرَابُ وَالتَّرَابُ،  
وَعَوَاءُ الذَّنَابِ وَمَوَاءُ الْقَطْطِ. وَمِنْ بَيْنِ كُلِّ هَؤُلَاءِ كَانَ صِرَاحُ  
طِفْلَتِهَا يَدَوِّي، يُنَادِيهَا. لَقَدْ جَفَّتْ عَيْنَاهَا مِنَ الدَّمُوعِ،  
وَلَمْ يَبْقَ بَعِينِيهَا مَا يَعِينُهَا عَلَى الْحُزَنِ وَيُرِيحُهَا مِنْ هَذَا  
الْقَدْرِ الْهَائِلِ مِنَ الْعَذَابِ. وَكَيْفَ اسْتَطَاعَ الزَّوْجُ إِقْنَاعَ  
حَارِسِ الْقُبُورِ بِفَتْحِ الْمَقْبَرَةِ، زَاعِمًا أَنَّ هُنَاكَ سِحْرًا، وَعَمَلًا  
مَدْفُونًا وَلَا يُبْطَلِيهِ لِأَبَدٍ مِنْ أَخِذِ شَيْءٍ مَا مِنْ جُثَّةِ الطِّفْلِ.

三、

وَفُتِحَتِ الْمَقْبَرَةُ.. لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ.. لَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةُ لَمْ يَكُنِ  
الْوَقْتُ نَهَارًا وَنَزَلَ الْحَارِسُ، وَصَعِدَ حَامِلًا جِثَّةَ الطِّفْلِ  
فَهِيَ الْجِثَّةُ الْوَحِيدَةُ الرَّاقِدَةُ فِي تِلْكَ الْمَقْبَرَةِ.

وقام أنتينورى بنزع عدة عينات وقطع دقيقة مختلفة من عظام الطفلة وبقيًا من أعضائها المختلفة، ثم وضعها في أنابيب دقيقة الحجم، بعد أن كتب عليها بيانات ورموزًا وحروفًا خاصة بها، ثم أعاد الحارس جثة الطفلة











حَنِينٌ مَا يَسْرِي فِي أَوْصَالِهَا.. يَمْنَعُهَا تَسْلِيمٌ مَا فِي بَطْنِهَا مُحَرَّرًا مِنْهَا، تَرَاهَا فِي شَاشَةِ الْفُحُوصِ الطَّبِيبَةِ مُغْمَضَةً الْعَيْنَيْنِ فِي وَضْعِ الْقَرْفُصَاءِ وَيَرْبِطُهَا الْحَبْلُ السُّرَى لِغَذِيهَا.

كَمْ يَمُرُّ الْوَقْتُ سَرِيعًا. تِسْعَةُ أَشْهُرٍ مَضَتْ بِسُرْعَةٍ كَيَوْمٍ  
أَوْ بَعْضِ يَوْمٍ. وَكَلَّمَا خَلَّتْ إِلَى نَفْسِهَا تَحَدَّثُ طِفْلَتَهَا الرَّاقِدَةَ  
فِيهَا وَتَلَاظِفُهَا وَكَأَنَّهَا تَسْمَعُهَا، ثُمَّ فَجَاءَتْ يَمْلُؤُهَا الْحَزَنُ  
عِنْدَمَا تَتَذَكَّرُ أَنَّهَا مُجَرَّدُ حَضَانَةٍ صِنَاعِيَّةٍ لَطْفَةٍ سَيَنْتَرَعُونَهَا  
بِمُجَرَّدِ وِلَادَتِهَا. كَمْ تَمَنَّتْ لَوْ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَطِيلَ فِتْرَةَ  
الْحَمْلِ وَتُؤَخِّرَ الْوِلَادَةَ. عَلَيْهَا لَا تَفْقِدْهَا، وَلَا تَفِرْطَ فِيهَا.

ولكن! كيف السبيلُ إلى ذلك والعقدُ يحولُ دونَ تحقيقِ  
مَا تَصْبُو إليه؟ أَى شَيْطَانٍ ذَلِكَ الَّذِي سَاعَدَهَا عَلَى التَّوَقُّعِ  
عَلَى مِثْلِ هَذَا الْعَقْدِ، الَّذِي سَيَحْرِمُهَا مِنْ طِفْلَتِهَا؟

مَنْ أَيْنَ نَشَأُ هَذَا الْحَبُّ الْكَبِيرُ الَّذِي بَاتَ يَجْمَعُهُمَا؟  
تَضَعُ كَفِيهَا عَلَى بطنِهَا وَتَهْمِسُ بِتَلَطُّفٍ:

- أَسْمَعِينَ يَا حَبِيبَتِي؟ مَتَى سَأُرَاكِ تَلْعَبِينَ أُمَامِي  
وَبَيْنَ ذِرَاعِي؟ مَتَى تَأْتِينَ لِأَنْعَمَ بِكِ وَبِصُحْبَتِكَ؟ إِنَّنِي عَلَى



– أَنْتِ.. أَنْتِ وَحْدِكَ الَّتِي تَسْمَعِينَ قَلْبِي الْآنَ،  
وَتَشْعُرِينَ بِي، فَأَنَا أُعْطِيكَ وَأَغْذِيكَ مِنْ دَمِي وَجَسَدِي،  
فَأَنْتِ مِنِّْي، أَجَلُ جِزْءٍ مِنِّْي أَنَا، وَلَنْ يَأْخُذُوكَ مِنِّْي أَبَدًا.  
يَعُودُ ضَمِيرُهَا يَسْأَلُهَا:

— لَقَدْ وُثِّقَ الْعَقْدُ، بِبُنُودٍ وَشُرُوطٍ حَادَّةٍ، وَمِيعَادٍ مُّحَدَّدٍ، وَلَنْ تَسْتَطِيعِيَ الْإِفْلَاتُ، إِنْ مَبَادِيِ الْعَقْدِ مَبَعَثَهَا الْقَانُونُ، وَالْقَانُونُ هُنَا حَاسِمٌ، زَادِعٌ، قَاطِعٌ، وَأَنْتِ وَافَقْتِ وَقَبِلْتِ وَقَبِضْتِ، فَلَنْ تَسْتَطِيعِيَ الْإِفْلَاتُ مِنَ الْعَدَالَةِ وَتَنْفِيزِ شُرُوطِ الْعَقْدِ.

— آية عدالة تتحدثُ عنهما؟

— عدالة تنفيذ العقد، أم تظنين أن الأمر هين وسيمرُّ  
بهذه البساطة التي في مخيلتك، وأنَّ المسألة كلها لا تزيد  
عن كونها مجرد رحلة لإنجاب طفلة غريبة عنك.  
— إنها طفلتى أنا.

- ستكون نسخة طبق الأصل من أمها، صاحبة البويضة المحمّولة.

— وَهَلْ يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ الْأُمُّ هِيَ الْبُيُوضَةُ !!

فهنالك العديد من البويضات التي تفقد من كل سيدة أو أنثى دون جدوى، هل نطلق على كل بويضة لقب الأم.

- لكن البويضة حاملة المادة الوراثية التي ستورث فيما بعد أيضًا غريبة.. مجهولة.. وأنت مجرد وعاء للبويضة المجهولة حاملة المادة الوراثية للطفلة الميئة، فأنت خزانة، مجرد وعاءٍ مكيفٍ ومجهز طبيعياً، وعاءٌ مؤقت.

- مستحيل، فأنا حاضنة ولست خزانة. أنا أم.

## الأم البديلة ..!

## وَحَانُ وَقْتُ الْمِيلَادِ وَالْمَوْتِ..

مَا بِهِ يَأْتِي مُسْرِعًا هَكَذَا، وَكَأَنَّهُ يَتَضَافَرُ مَعَهُمْ عَلَى قَتْلِهَا! وَجَاءَتِ الطِّفْلَةُ خَمْرِيَّةُ اللَّوْنِ. سَوْدَاءُ الشَّعْرِ، وَارْتَفَعَ صُرَاخُهَا.. وَنَهَضَتْ دُنْيَا مِنْ فِرَاشِهَا بِلَا أَوْجَاعٍ أَوْ آلَامٍ تَبْحَثُ عَنْ طِفْلَتِهَا، وَقَبْلَ أَنْ تَنْدَفِعَ خَارِجَ غُرْفَتِهَا أَعَادَوْهَا إِلَيْهَا قَائِلِينَ: اسْمُهَا أَشْجَانُ.. هَا هِيَ.. وَعَلَيْكَ مُرَاعَاتُهَا حَتَّى تَأْتِيَ أُمُّهَا.

وَكَمْ تَمَنَّتْ أَلَا تَأْتِي تِلْكَ السَّيِّدَةُ الَّتِي تَزْعُمُ أُمُومَتَهَا.  
أَخْفَى الْعَالَمُ أَنتَيْنُورَى خَبَرَ الْوِلَادَةِ عَنِ الْأُمِّ حَتَّى  
تَسْتَطِيعَ الْمَوْلُودَةُ أَخْذَ قِسْطٍ مِنْ لَبَنِ الْأُمِّ الْبَدِيلَةِ، وَبَعْدَ  
الْإِطْمِنَانِ عَلَى حَالَةِ الْمَوْلُودَةِ طَلَبَ مِنَ الْأُمِّ الشَّفَرَ وَالْحَضُورَ  
لِتَتَسَلَّمَ بِضَاعَتِهَا الطِّفْلَةَ الْمُسْتَنْسَخَةَ أَشْجَانَ.

التقتُ دُنيا بالعالم أنتينورى وهو يقومُ بفحصِ المُولودةِ  
فِي أوقاتٍ مُحدّدةٍ مِنَ السَّاعاتِ، ويدوّنُ، كاتِبًا، مُلاحظاته  
فِي ملفٍ إيفًا حَوّاءِ المِصريةِ.











- بالقطع مُمكن.. وسيتمُّ طرحُ هذه المسألة وعرضها على المُستشارين العُلميين لفحص الخريطة الوراثية لكلِّ من الأم والطفلة المُستنسخة وربما للأب أيضًا، وهذا أمرٌ ليسَ بحاجة لوقتٍ طويلٍ، ولكنه سيتمُّ بأخذِ خليةٍ من كلِّ منهما، ولتكنَّ عينةٌ من الدم وعزلَ المادة الوراثية لكلِّ منهما الطفلةُ والأب، وفحصُ الخريطة الوراثية، ومُطابقة تلك الخريطة الوراثية للطفلة لكلِّ من الأم والأب. وقطعًا سيسفرُّ الكشفُ عن الحقيقة.

حَمَلَتْ دُنْيَا طِفْلَتَهَا بَيْنَ أَحْضَانِهَا تَكَادُ تُخْفِيهَا، وَجَاءَتْ  
ضَحِيَّةُ الشَّرْقِيَّةِ لَتَبْدَأَ مَعْرَكَتَهَا مِنْ جَدِيدٍ، وَالْمَعْرَكَةُ هَذِهِ  
الْمَرَّةُ مَعَ امْرَأَةٍ غَرْبِيَّةٍ فَهِيَ مَعْرَكَةٌ وَحَرْبٌ لَيْسَ بَيْنَهُمَا  
تَكَافُؤٌ.

امراتان.

ضحية..! تعيش في ظل رجل.. تفكر بقلبها وتحب بعقلها. وكل راسمالها في الحياة هو العاطفة، فهي تعيش من أجل الرجل أولاً ثم من أجل أطفالها أولاً وأخيراً.

أُسيرةُ هذا الحبِّ. ومع امرأةٍ عاطفيةٍ جميلةٍ، لا تعرفُ مِنَ الدنيا شيئاً سوى الحبِّ والعطاءِ وانتظاره، والعيشِ مِنْ أَجله. تارةً فِي صورةِ رجلٍ وأخرى فِي صورةِ طفلٍ...!

المهم.. أنها تعيش من أجل آخر وفي ظل آخر، وليس من أجل نفسها.

فَالْحَرْبُ هُنَا لَيْسَتْ مُتَكَافِئَةً، إِذْ كَيْفَ سَتَتَعَارَكُ امْرَأَتَانِ؟ امْرَأَةٌ وَاقِعِيَّةٌ قَوِيَّةٌ، تَعِيشُ مِنْ أَجْلِ نَفْسِهَا وَحَسَبِ، وَتَسْخَرُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ لَخِدْمَتِهَا، حُرَّةٌ.. امْرَأَةٌ تَخْتَارُ، بَلْ وَتَمْلِكُ الْقُدْرَةَ عَلَى الْإِخْتِيَارِ.

وامرأة تخضع لكل طريق تقذف بها فيه الحياة. والحياة يحكمها قانون البقاء للأقوى. وليس هناك قانون من أجل الحب والرق والعبودية.

※ ※ ※

وَحَكَمَتِ الْمَحْكَمَةُ بِأَنَّ الطِّفْلَةَ ابْنَةً لِّصَاحِبَةِ الْبُيُوضَةِ  
الْحَامِلَةِ لِلْمَادَّةِ الْوَرَاثِيَّةِ وَمُنَحَ السَّيِّدَةِ الْبَدِيلَةَ حَقَّ رِعَايَتِهَا  
وِإِرْضَاعِهَا فِي حَالَةِ مُوَافَقَةِ الْأُمِّ فَقَطْ .

كانت الفرحة تغمر الأم من كل جانب، وبسرعة حركتها أمتعتهم، ولكن ما بال الطفلة لا تكف عن البكاء والصراخ وبمجرد وصولهم إلى الفندق. أعلنت الأم البحث عن مربية مقيمة للطفلة المولودة.

◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎◎



وَأَخَذَتْ فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِهَا لِلْفَنْدَقِ تَشْرُحُ لَهُ الْمِهْمَةَ الَّتِي تَوَكَّلَهَا لَهُ، وَكَيْفَ سَيُحَوِّلُ رَصِيدَهَا إِلَى الْقَاهِرَةِ وَيَصْفِي كُلَّ مَتَعَلَقَاتِهَا مِنْ بَيْعِ السَّيَّارَةِ وَالْبَيْتِ، وَلِيَتْرَكَ فَقَطِ الْبَيْتَ الصَّغِيرَ الَّذِي يَقَعُ فِي (قَرْيَةِ تَيْبَلَى إِحْدَى ضَوَاحِي رُومَا) لِيَبْقَى تَحْتَ رِعَايَتِهِ دَائِمًا.

دَخَلَتِ الْفُنْدُقَ مُتَوَجِّهَةً لِلجَنَاحِ الَّذِي تَنْتَظِرُهَا فِيهِ  
طِفْلَتِهَا. دَخَلَتْ مُتَوَجِّهَةً فِي اتِّجَاهِ الصَّرَاحِ وَالْبَكَاءِ.

فَهِيَ وَحدهَا الَّتِي لَا تَخْطِئُ فِي تَمْيِيزِ صَوْتِ طِفْلَتِهَا  
وَبُكَائِهَا.. كَانَتْ تَحْمِلُ بَيْنَ يَدَيْهَا الْقِرَدَ الصَّغِيرَ  
الشَّقِيَّ صَدِيقَهَا.

أُسْرِعَتْ بَفَتْحِ الْغُرْفَةِ دُونَ اسْتِئْذَانٍ، وَجَذِبَتْ الْبُطْلَانَةَ  
بَيْنَ أَحْضَانِهَا.. وَبِسُرْعَةٍ هَدَّأَتِ الْبُطْلَانَةَ وَكَفَّتْ عَنِ الْبُكَاءِ  
وَالصَّرَاحِ.. وَمَسَحَتْ دُمُوعَهَا فِي صَدْرِهَا كَقَطْءٍ تَخْتَبِئُ فِيهِ  
بَحْثًا عَنْ طَعَامِهَا وَمَأْوَاهَا.

جلست دنیا ترضعہا وہی تضمہا بحب لم تعہدہما  
من قبل، وكيف لا تسعد وقد ردت إليها روحها  
بعودتہا؟





ثُمَّ أَرَدَفَ قَائِلًا: ضَحِيَّةٌ، حَبِيبَتِي، إِذَا كُنْتَ تَحْبِبِينَ  
الطِفْلَةَ فَلَا بَدَّ مِنَ الْوَفَاقِ مَعَ دُنْيَا وَلَا تَكْدِرِينَ حَيَاتَهَا، لِأَنَّ  
الطِفْلَةَ يَجِبُ أَلَّا تَرْضَعَ لَبَنًا مُكْدَرًا بِالْحَزَنِ وَالشَّقَاءِ.  
فَعَلَيْنَا، كُلَّنَا، تَحْمِلُ كُلُّ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ هَذِهِ الطِّفْلِ،  
لِأَنَّهَا غَالِيَةٌ، بِأَهْظَةِ التَّكَالِيفِ، كَلَفْتَنَا تِلْكَ الْمَقَامَرَةَ الْكَثِيرَ.  
وَلَا نَعْرِفُ حَتَّى الْآنَ أَنَّ مَا فَعَلْنَاهُ حَلَالًا أَمْ حَرَامًا!  
انْفَعَلْتُ لِلْهُجَةِ تِلْكَ قَائِلَةً:

— مَاذَا بَكَ؟ بَلْ مَاذَا أَصَابَكَ؟ أَلَمْ تَكْفَ عَنْ هَذَا الْهَرَاءِ،  
كُلِّ شَيْءٍ تَمَّ بِإِرَادَةِ اللَّهِ، لَأَنْهَا مِنْ ابْنَتِنَا، وَلَيْسَتْ غَرِيبَةً  
عَنَّا فَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ خَلْطِ أَنْسَابٍ، وَأَرْجُوكَ دَعُ هَذَا الْأَمْرَ وَلَا  
تَفَكَّرْ فِيهِ، وَفَكَّرْ فِي صَغِيرَتِنَا تِلْكَ، الَّتِي سَتَكُونُ نَسْخَةً طَبَقِ  
الْأَصْلِ مِنْ فَقِيدَتِنَا الصَّغِيرَةِ، كَلَّا بَلْ سَتَكُونُ هِيَ نَفْسَهَا، فَلَمْ  
تَعُدْ رَاحِلَةً الْآنَ، لَأَنْهَا عَادَتْ إِلَيْنَا بَعْدَ طَوِيلِ غِيَابٍ.

تَغَيَّرَتْ دُنْيَا، وَتَبَدَّلَتْ أَحْوَالُهَا، عَادَاتُهَا، سُلُوكُهَا،  
قِطْعًا كَانَ وَاجِبًا كُلُّ هَذَا التَّغْيِيرِ وَلَمْ يُؤْثِرْ عَلَيْهَا شَيْءٌ فِي  
هَذِهِ الدُّنْيَا قَدَرًا مَا أَثَرَتْ عَلَيْهَا تِلْكَ الطِّفْلَةُ، مَوْلُودَتُهَا،  
مُنْذُ حَمَلِهَا بِهَا.

وتغيرَ فيها كلُّ شيءٍ، كانت لا تعرفُ معنىَ العطاء،  
 فتعلَّمته دونَ مُعلم، كانت تُجيدُ لعبةَ الحياة، تُسخرُ كلَّ  
 شيءٍ مِنْ أَجْلِهَا، وفجأةً أصبحت أُمًّا، علَّمتها الأُمومةَ  
 مَا عَجَزَتْ عَنْ تَعْلِيمِهِ، مِنَ الْحَيَاةِ.

\*\*\*

دخلتُ دُنْيَا عَلَى طِفْلَتِهَا الَّتِي كَانَتْ تَقْفُ فِي الشُّرْفَةِ تَرْقُبُ  
 مَوْعِدَ وُصُولِهَا، تَنْظُرُ لِلْمَارَةِ فِي الشَّارِعِ الْعَرِيضِ ذِي الْخُضْرَةِ  
 الْعَالِيَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، تَتَرَقَّبُ وُصُولَهَا، وَكَلَّمَا جَذَبَتْهَا الْأُمُّ  
 صَرَخَتْ صَرْخَةً مُدْوِيَةً، مُرْعِبَةً، فِيهَا إِصْرَارٌ عَلَى وَقْفَتِهَا تِلْكَ،  
 وَإِصْرَارَهَا عَلَى انْتِظَارِ دُنْيَا وَقَبْلَ أَنْ تَدُقَّ دُنْيَا جَرَسَ الْبَابِ تَهْلُلُ  
 الطِّفْلَةَ بِاسْمِهَا بِطَرِيقَةٍ مُتَعَثِّرَةٍ تَبْعَثُ فِيهَا جَمَالًا فَوْقَ جَمَالِهَا،  
 وَتَفْتَحُ مُدِيرَةَ الْمَنْزِلِ الْبَابَ، فَتَنْهَالُ دُنْيَا عَلَى أَشْجَانِ الْقَبْلَاتِ  
 وَالْأَحْضَانِ، مُسْرِعَةً إِلَى غُرْفَتِهَا، مُحْمِلَةً لَهَا بِشَتَّى أَلْوَانِ اللَّعِبِ  
 الْمَتَحَرِّكِ الْبَاهِظَةِ الثَّمَنِ وَالنَادِرَةِ وَتَقُولُ لَهَا مُدَاعِبَةً:

- هَيَّا يَا إِشْ إِشْ، جَمِيعُ هَذِهِ اللَّعِبِ مِنْ أَجْلِكَ أَنْتِ.  
 وَأَخْرَجَتْ دُنْيَا مِنَ الصَّنَدُوقِ سَائِرَ الْحَيَوَانَاتِ الشَّائِعَةِ، وَبَنَتْ  
 لَهَا سُورًا لِلْحَدِيقَةِ وَأَوْقَفَتْ كُلَّ حَيَوَانٍ خَلْفَ الْأَشْجَارِ وَبَيْنِهَا.









## مصير البنت المستحيلة..!

وَهَكَذَا مَرَّتْ بَيْنَهُمُ الْأَيَّامُ.. حَتَّى تَضَخَّمَتِ الطِّفْلَةُ  
الْمُسْتَحِيلَةَ، وَسَاءَتْ صِحَّتُهَا.. وَتُرِعَتْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ بِقُوَّةِ  
الْقَانُونِ، لِتَحْبِسَ وَحِيدَةً فِي زِنَانَةِ الْمُسْتَشْفَى، لِتَجْرَى  
عَلَيْهَا الْفُحُوصُ وَالتَّجَارِبُ كَفَّارُ الْمَعْمَلِ وَبَيْنَمَا كَانَتْ أَشْجَانُ  
تَدُونُ ذِكْرِيَّاتِهَا تِلْكَ.. كَانَ الْعُلَمَاءُ يَتَرَقَّبُونَ حَالَتَهَا.

وأعلن الجميع أنه إذا كانت حالة تضخم أشجان نتيجة لاستنساخها فهي من الآثار الجانبية التي تتعرض لها، ولا يعرفون بل لا يمكن توقع أى آثار جانبية أخرى ذلك لكونها الحالة البشرية الأولى والوحيدة المستنسخة حتى الآن.

وبدأت بالفعل أشجان تشحب، ويتغير لونها، وكأن دمها يتغير، كلاً لم يكن شحوباً كهذا الشحوب الذى نعتاده فى حالات المرض أو القلق أو الفتور، ولكنه كان شحوباً من نوع آخر، شحوباً غير كل ذلك الشحوب الذى ألفناه، أصاب العلماء ما أصابهم من دُعر وهلع لهذه الحالة.

وارتَابَ الجميعُ فِي أمرِهَا، وَزَادَتْ أَعْرَاضُ غَرِيبَةٍ عَلَى مَظْهَرِهَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ الْكَشْفَ عَنْ أَسْبَابِهَا. فَأَسْبَابُ التَّضَخُّمِ غَيْرُ طَبِيعِيٍّ، وَغَيْرُ مَعْرُوفٍ، وَالَّذِي كَانَ يَظُنُّ بَاطِلًا أَنَّهُ خَلَّلَ هَرْمُونِي.

لَكِنْ بِقَدْرِ مَا كَانَ هَذَا التَّضَخُّمُ يَعْدُ خَلًّا هَرْمُونِيًّا،  
إِلَّا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ، بَلْ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يُودَى إِلَى هَذَا  
التَّضَخُّمِ غَيْرَ الْمَسْبُوقِ أَبَدًا بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

وَبَدَأَتْ أَطْرَافُهَا تَنْحَسِرُ وَكَأَنَّمَا تَقْصُرُ، هَلْ مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ تَتَأَكَّلَ بَعْضُ الْخَلَايَا فَتَوُدِّيَ إِلَى ضُمُورٍ أَوْ انْكَمَاشٍ بَعْضُ الْأَطْرَافِ أَوْ الْأَجْزَاءِ فِي الْجِسْمِ؟!

هَالَهُمْ مَا يَرُونَهُ فِي حَالَتِهَا، بَلْ رَاعَهُمْ وَبَدَأَ الْبَعْضُ  
يَخَافُ فَحَصَّهَا بَلْ وَيَتَحَاشَى الْاقْتِرَابَ. كَانَ مُجَرَّدَ  
الْاقْتِرَابِ مِنْهَا أَصْبَحَ يُرِيبُهُمْ وَيَفْزَعُهُمْ.

وَعُقِدَتِ الْمُؤْتِمَرَاتُ وَكَثُرَتِ النَّدَوَاتُ وَالْمُنَاقَشَاتُ  
وَنَشِرَتِ الْأَبْحَاثُ الَّتِي يَمْلُؤُهَا الرَّعْبُ وَالْخَوْفُ مِنْ  
تِلْكَ الْحَالَةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مِثْلٌ أَوْ شَبِيهٌ عَلَى وَجْهِ  
الْأَرْضِ.

— لا يوجد هناك أية آمال في بقائها على قيد الحياة.

— لَأَنَّ خُطُورَةَ بَقَائِهَا وَاسْتِمْرَارَهَا عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ  
بِهَذِهِ الْأَعْرَاضِ، يَتَزَايِدُ كُلُّ لَحْظَةٍ عَمَّا سَبَقَتْهَا لَيْسَ ذَلِكَ  
فَحْسَبٌ، وَإِنَّمَا خُطُورَتُهَا عَلَى الْآخِرِينَ.. وَلَا بَدْءَ مَنْ  
وَقَفَ أَيْةَ تَجَارِبَ عَلَيْهَا، لِأَنَّهَا سَتَكُونُ عِبْثًا لَا طَائِلَ  
مِنْهَا بِالْإِضَافَةِ لَتَعْرِضِ الْمَحِيطِيِّينَ وَالْبَاحِثِينَ لَعَلَّ لَا نَعْرِفُ  
مَدَاهَا وَلَا عَاقِبَتَهَا.



فَكَانَ لَا بَدَّ مِنْ مُنَاقَشَةِ الْأَمْرِ سِرًّا وَخَفِيَّةً ، وَتَقَرَّرَ أَنْ  
تَكُونَ هَذِهِ الْجُلُوسَةُ سَرِيَّةً مَخَافَةً أَنْ يَتَسَرَّبَ الْخَبْرُ فَكَانَ  
لَا بَدَّ مِنْ كِتْمَانِهِ ، وَجَاءَتْ تَوْصِيَا تِلْكَ الْجُلُوسَةِ السَّرِيَّةُ  
بِالاستمرارِ فِي الإِعْلَانِ عَنْ مُعَانَاتِهَا الَّتِي تَتَدَهَوَّرُ نَتِيجَةً  
إِصَابَتِهَا بِعِلَلٍ وَأَمْرَاضٍ مُسْتَعْصِيَةٍ ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الْإِقْتِرَابِ  
مِنْهَا ، لِأَنَّهَا تَقْتَرِبُ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ .

وعرفَ الحارسُ ما يُضمرُونهُ لأشْجانٍ، وبدأوا بالفعل تنفيذَ خُطَّتْهم. وتداولتِ الصحفُ ووسائلُ الإعلامِ خبرَ مرضِها الأخيرِ غيرِ المعروفِ، وكثرةِ العللِ التي حَلَّتْ بها وأصابَتْها أخيراً، لكنَّ الحارسَ لم يَسْتَطِعِ الصمتَ فأخبرَ أدهمَ بحقيقةِ الأمرِ. وثمة ما ينتظرُها مِنْ مصيرٍ حَتْمِي يُدبرونه لها ولن يكونَ الأمرُ قضاءً وقدرًا كما سيُشاعُ واتفقَ عليه.

فَزَعِ أَدْهَمَ لِمَعْرِفَتِهِ تِلْكَ الْكَارِثَةَ وَهَرُولَ مُسْرِعًا إِلَيْهَا، رَغْمَ حُجُبِهَا عَنْهُ وَعَنِ الْجَمِيعِ حَتَّى عَنِ الْمَصُورِينَ وَالْإِعْلَامِيِّينَ إِلَّا إِنَّ أَدْهَمَ تَمَكَّنَ مِنْ رُؤْيَيْتِهَا عَنْ طَرِيقِ الْحَارِسِ.



وَتَبَّتْ مِنَ الْخَرِيطَةِ الْوَرَاثِيَّةِ أَنَّ الطُّفْلَةَ الْمُسْتَحِيلَةَ وَالَّتِي  
تُدْعَى أَشْجَانْ كَمَا أَطْلَقُوا عَلَيْهَا حَوَاءَ (Eva)، لَيْسَتْ  
مُسْتَنْسَخَةً مِنَ الْأُمِّ الْمَسْجَلَةِ بِشَهَادَةِ مِيلَادِهَا .. لِأَنَّ  
الْخَرِيطَةَ الْوَرَاثِيَّةَ لِلطُّفْلَةِ الْمُسْتَحِيلَةِ لَيْسَتْ مُطَابِقَةً لْخَرِيطَةِ  
الْأُمِّ، وَبِنَاءً عَلَيْهِ تَسْقُطُ كُلُّ حَقُوقِهَا كَأَمْ اسْتَنْسَخْتُ مِنْهَا  
هَذِهِ الطُّفْلَةَ، وَتَمَّتْ مُحَاكَمَةُ الْأُمِّ بِتَهْمَةِ جَرِيمَةِ الْمَشَارَكَةِ فِي  
مُهِمَّةِ إِجْرَاءِ التَّجَارِبِ الْعِلْمِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ وَتَيْسِيرِهَا وَالْعَبَثِ  
بِجَسَدِ الطُّفْلَةِ الْمَيِّتَةِ.

أَمَّا دُنْيَا فَكَانَ الْحُكْمُ لَهَا بِأُمُومَةِ الطِّفْلِ الْمُسْتَحِيلَةِ  
أَوِ الْمَتَوَحَّشَةِ حَيْثُ إِنَّهَا حَمَلَتْهَا وَأَرْضَعَتْهَا.

وراح المحامي يُدافع عَنْ أُمومةِ دنيا للطفلةِ المُستَحيلةِ  
حتَّى انتهَى الأمرُ بأحقّيتها فِي أُمومةِ الطفلةِ.

كانت دنيا في غنى عن هذا الإعلان. فطالما بقيت  
كامنة، بعيدة عن الأنظار، إلا إنها كانت تنعم بشعورها  
وبنوتها.. أما الآن وقد أجهضوا فرحتها بإعلان حقيقة  
استنساخ طفلتها.. لم يكن لديها ما يدعو للفرح أو السعادة  
بإعلان أمومتها المهددة.. فقد أجهض مرضُ إتش إتش  
بالتضخم فرحتها بهذا الإعلان. واختفى حارسُ المقبرة،

كما اختفى العالم أنتينورى عن إيطاليا ، أما الأب فكان دوره فى القضية ثانوياً تماماً مثل دوره فى الحياة فى البيت ، فهو لم يزد عن كونه منفذاً لرغبات زوجته .

كَانَتْ الْمَفَاجَأُ مُرْعَبَةً بِالنِّسْبَةِ لِدُنْيَا، مَعْرِفَتِهَا بِاسْتِنْسَاحِ  
طِفْلَتِهَا، وَرَاحَتِ دُنْيَا تُصَلِّي مِنْ أَجْلِ ابْنَتِهَا، وَتَشْفُقُ  
عَلَيْهَا مِنْ مَعْرِفَتِهَا تِلْكَ الْحَقِيقَةَ.

وَبُهِتَ أَدْهَمَ وَهُوَ يَقْرَأُ كُلَّ سَطْرٍ مِنْ تَجْرِيبِ أَشْجَانِ الْعِلْمِيَّةِ وَاسْتِنْسَاقِهَا، وَتَذَكَّرَ كَمْ كَانَتْ تَنْقُلُ لَهُ شَعُورَهَا بِأَنَّ دُنْيَا هِيَ أُمُّهَا الْحَبِيبَةُ وَلَكِنْ ضَحِيَّةٌ مُجَرَّدَةٌ أَمْ رَسْمِيَّةٌ وَحَسْبُ، فَهِيَ أَخَذَتْ دَوْرَ الْبَطُولَةِ فِي حَيَاتِهَا لِتَعْلَبَ دَوْرَ الْأُمِّ وَلَكِنِهَا لَمْ تَتَّقْنَهُ بَعْدَ.

✕ ÷ ±

وَكَمْ كَانَتْ قَاسِيَةً تِلْكَ الْأَحْدَاثِ عَلَى كُلِّ مِّنْ دُنْيَا  
وَأُدْهِمَ.. أَمَّا أَشْجَانُ فَقَدْ عَرَفْتُ كَمْ أَوْدَتْ بِهَا أُنَانِيَّةُ تِلْكَ  
الْأُمِّ.. الَّتِي تَحَدَّثُ الْقَدَرَ لِتَشْبَعَ غَرِيزَةُ الْأُمُومَةِ بِدَاخِلِهَا..  
فَهَا هِيَ تَحْصِدُ الْآنَ مَا غَرَسَتْهُ.. لَمْ تَسْتَطِعْ يَوْمًا أَنْ تَكُونَ  
ابْنَةً لَهَا، لَمْ تَحِبَّهَا بِفَطَرَتِهَا، بَلْ كَانَتْ تَرُوضُ نَفْسَهَا  
عَلَى حُبِّهَا قَدْرَ اسْتَطَاعَتِهَا.

## هروب البنت المستحيلة..!

رَاحِبِ أَشْجَانِ تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ بِلا خَوْفٍ أَوْ خَجَلٍ  
وَبِلا حَذْفٍ أَوْ إِيْخْتِصَارٍ.

وتسجلُ تجربةَ حياتِها وشكوكِها وعذابِها حتّى تذكُرَتْ  
أدّهم، وراحت تستعيدُ أحلى لحظات حياتِها معه وشجرةَ  
مأواهما الوارفة الظلال، لم يفارقها أدّهم منذُ أحبّها، كان  
يتبعها كظلّها أينما حلّت وحيثما كانت.

وبعد أن دَوَّنتُ كلَّ مشاعرها وسَّجَلتُ كلَّ آلامها،  
بدأتُ تكتبُ رسالتها الموجهةَ إلى أدهم.

فلم تكتفِ أشجانَ بتسجيلِ ما حدثَ فقط، بل شرعت  
تتخيّلُ ما سوفَ يحدثُ بعدَ رحيلها أيضًا، كما تتوقعه  
وتتمناه، فراحَت تتخيّلُ حياةَ أدهم بعدَ رحيلها، وإذا  
كانتِ الحياةُ قد حَرَمَتها تحقيقَ لقائهما، فلا بدَّ أن يحييا  
أدهم ويَكُون مثلما تمنّت هي وكأنها معه لا تفارقه فليحقق  
حُلمهما رغمَ العواقب والظُرُوف.

وَلَنْ يَكُونَ وَحْدَهُ وَشَرَعْتَ تَتَخِيلُهُ وَهِيَ تَكْتُبُ :

وبعد أن دُفنت أشجان وواروها التراب، وعادَ أدهم يحملُ وحدهُ روحها في جسده. لم يشعرَ بِألم أو حزنٍ ما، كما شعرَ الآخرون لفراقها، لأنها لم تُفارقهُ بعد، وإذا كانَ حقًا قد رحلَ جسدها الآنَ وسوى في التراب، فجسده هو ما زالَ حيًّا، فوق التراب، ليحملَ وحده رُوحين.. روحها وروحه معًا.. وفي آنٍ واحدٍ، ليحققَ حلمَ حبيبته.. وراحت تتخليله. وظلَ أدهم ناجحًا، طلقَ البيان، عارفاً بِمختلف الفنون والآداب.. لتُقابله أجملُ أشجان مرةً أخرى، وترافقه مشوارَ حياته علَّها تحققَ له ما عجزتْ عن تحقيقه حبيبتهُ الرَّاجلة، وينجبُ أدهم أشجان الصَّغيرة.

وَأَلَقْتُ بِالْقَلَمِ بَرَهَةً مِنَ الْوَقْتِ ، وَسَالَتْ دُمُوعُهَا وَهِيَ  
تَتَمَنَّى تَجُنَّبَ مَا جَنَّتُهُ ، وَتَعَاوُدُ تَمَسُّكَ بِالْقَلَمِ لِتَكْتُبَ :  
لَكِنَّهُ سَيُنْجِبُهَا إِنْجَابًا حَقِيقِيًّا هَذِهِ الْمَرَّةَ ، دُونَ الْحَاجَةِ  
لِأَنْبَابِيبٍ أَوْ بُوَيْضَاتٍ أَوْ أَرْحَامٍ أَوْ مُرْضِعَاتٍ .  
سَيَنْجِبُ أَشْجَانَ الصَّغِيرَةِ دُونَ اللَّجُوءِ لِعُلَمَاءَ وَأَطِبَّاءَ  
وَمُعَامِلٍ وَبَحُوثٍ وَالنَّبَشِ فِي الْقُبُورِ ، دُونَ تَحَدٍّ لِلْقَدَرِ ! !

سَيَنْجِبُ أَشْجَانَ الصَّغِيرَةَ مِنْ زَوْجَتِهِ وَحُسْبٍ، لَتَكُونَ  
أَشْجَانُ طَبِيعِيَّةٌ لَا عِمْلَاقَةَ وَلَا ضَخْمَةَ. لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ  
ضَمُورٌ أَوْ تَأْكُلٌ أَوْ فَحْوصٌ أَوْ زَنْزَانَةٌ. سَتَكُونُ أَشْجَانُ  
صَّغِيرَةً، رَقِيقَةً، لَتَحْلُقَ كَالْفَرَاشِ لِيَجْرِيَ خَلْفَهَا أَدهم  
العَجُوزُ وَسَيَلْحَقُ بِهَا، كَعَادَتِهِ مَعَهَا وَرَغْمَ كِبَرِهِ وَعُمُرِهِ،  
سَيَلْحَقُ بِهَا لَا مَحَالَةَ.

وأَجْهَشْتُ بِالْبِكَاءِ ، ثُمَّ تَوَالَّتْ كَلِمَاتُهَا عَلَى الْوَرَقِ . أَمَّا أَنَا  
أَشْجَانُ الْمُسْتَنْسَخَةِ فَدَعْنِي لِأَلْحَقُ بِالْآخِرَةِ ، كَمَا ظَلَلْتُ  
عَلَى عَهْدِي بِاقٍ فِعَاهِدْنِي عَلَى تَحْقِيقِ مَا تَمَنَيْتُهُ فَكُنْ  
سَعِيدًا قَدْرَ اسْتَطَاعَتِكَ يَا حَبِيبِي ، حَتَّى أُسْتَرِيحَ ، وَتَأْكُدَ  
أَنْنِي لَنْ أَرْحَلَ عَنْكَ أَبَدًا ، وَإِذَا كَانَ جَسَدِي قَدْ رَحَلَ عَنْكَ  
فَرُوحِي لَنْ تَرَحَلَ عَنْكَ بَعْدَ .. لِأَنَّهَا رَاحِلَةٌ إِلَيْكَ وَحْدَكَ  
يَا حَبِيبِي .. سَأَرْحَلُ إِلَيْكَ لِأُسْتَرْخِي فِي قَلْبِكَ الْوَثِيرِ .

وَحِينَ أَنْتَ تَصْحُو.. لِيَنْبِضَ قَلْبُكَ بِي..  
وَأَدِقَّ بِهِ فُؤَادُكَ ذَاكَ الصَّغِيرِ.. لِأَسْرَى فِي دَمِكَ..  
أَجْدَفُ، أَسْبَحُ أَبْحَرُ، أَرْسُو، حَيْثُ شئتُ.. وَكَيْفَمَا مَلْتُ  
أَمِيلُ.

كانت رسالة طويلة. لم تكن رسالة حُب، أو نداءً  
أو حتى شكوى، لكنها كانت رسالة حياة، حياة كُتِبَ  
عليها العدم، حياة لم ترَ فيها سوى المعاناة، ورغم أنها  
كانت رسالة لا تحمل سوى الدعوة للحياة، إلا أنها كانت  
رسالة وداع. وددتُ لو أراك الآن.. أو يترفقُ بى الله  
فيسمح لي برؤياك ولو مرة واحدة قبل الموت.. ولكن على  
الآن أن أودعك.. فمن رحمة الخالق بنا ألا يعلم أى منا  
متى تحين الساعة. فجأة تراه أمامها..

أدعهم...!

تدفنُ وجهها بينَ يديها وتنتحبُ.

يُسَاعِدُهَا أَذْهَمَ عَلَى الْهَدْوِ وَيَلْمُ أَوْرَاقَهَا الْمَبْعَثَةَ.



بذلّ أدهم قُصارى جُهدِهِ مُحاولًا تهريبها مِنَ المستشفى  
ولكنّ كيف؟ وهى بكلّ هذا الحُجم الهائل الضخم؟  
وقبل الحارس مُساعدته مُقابل مَبْلَغ كبيرٍ مِنَ المال،  
لم يَرَ أدهم أَمامَهُ مَنْ يُساعدُهُ فى ذلك الأمر، سوى دنيا  
التي ظلت تمنحُ وتعطى كلَّ ما بوسعها لأشجان، فهى أمُّ







## مناجاة الموت ..!

كانت لضخامتها تسير.. وما هي بسائرة، لكنها مُحطمة  
لكلِّ ما تمشى عليه.. فهي ثقيلة الوزن.. كبيرة الحجم  
وساراً سويّاً بعيداً عن الناس...

وبمجرد أن سمع الناس بيان هروبها هرولاً بفرع  
يجرون يميناً وشمالاً، بحثاً عن ملاذ يقيهم منها، كانوا  
يفرون منها قبل العثور عليها فرارهم من الموت، وكأنهم  
خرجوا من الأجداث فرأوا من كل حدب ينسلون.

弘治

وكان صوت الضجيج والفرع يملأ المدينة فتوقفت  
أشجان عن السير، وهي ترى الناس وكيف يخشونها  
هالها المنظر...

وَلَمْ يُفْرِغِ النَّاسُ قَدَرَ فَرْعِهَا مِنْ رُؤْيَا فَرَعَهُمْ مِنْهَا.  
وَضَهَرَتْ أَشْجَانُ بَضْخَامَتِهَا الْمَفْرُوعَةِ لِتَدْمِرَ كُلَّ مَا يَقَعُ  
تَحْتَ قَدَمَيْهَا دُونَ قَصْدٍ أَوْ نِيَّةٍ وَهِيَ لَا تَعْلَمُ.  
وَهَرُؤَلُ النَّاسِ مِنْ بَيوتِهِمْ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ بَحْثًا عَنْ مَلَاذٍ يَقِيهِمْ  
شَرَّ ذَلِكَ الْكَائِنِ الْمُتَوَحِّشِ.. الْحَامِلِ لَأَمْرَاضٍ وَأَسْرَارٍ مُدْمِرَةٍ.







يلتفتُ يمينًا وشمالًا.. نظراتُ مُضطربةٌ مذعورةٌ..  
يصرخُ.. كلاً..

لنْ تموتى.. وفجأةً سكنتَ وتماسكَ. ساكنةٌ هى وليستْ  
نائمةً.. ليسَ على وجهها أثرٌ من آثارِ الآلامِ التى يقاسيها  
المرضى.. يحسبها الرائي نائمةً وما هى بنائمةً..  
لقد مات كل شىءٍ دونها ولم يبق سواها..  
وجنَّ قاتلاً:

إنها ستصحو الآن. صدقونى..  
إنها نائمة.. فلا تزعجوها.. لا تقلقوها..  
دعوها وشأنها.. بل دعونا وشأننا..  
وراح يصرخُ بلا صوتٍ ويبكى بلا دموع..

\*\*\*

كَانَ أدهمُ قد قاسى كثيراً فى تلك الأيام الأخيرة التى  
قضتها أشجان خاصة الساعات الأخيرة.. ولكن ما قاساه  
فى تلك الليلة، كان يفوق طاقته واحتماله كإنسان.. فقد  
كان الأثر الذى تركته أشجان فى نفسه كفيلاً بأن يضلّه  
عن سبيل التفكير السليم.. كان حبه لها بمثابة جميع  
الأدلة التى تدحض أى اعتقادٍ برحيلها وفنائها.

وَحَمَلُوهَا رَغْمًا عَنْهُ.. نَزَعُوهَا مِنْهُ..  
لَمْ يَحْمِلْ نَعَشَهَا عِدَدٌ مِنَ الرِّجَالِ بَلْ حَمَلَتْهُ سَيَّارَةٌ  
ضَخْمَةٌ.. وَلَمْ يَفَارِقْهَا أَدْهَمُ لَحْظَةً وَاحِدَةً..  
كَانَ نَعَشًا فَرِيدًا.. لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثِيلٌ مِنْ قَبْلُ.. كَانَ  
صَامِتًا.. بَلْ وَاجِمًا.. مَذْهُولًا..  
يَسِيرُ وَرَاءَهُمْ حَتَّى حَمَلَهَا مَعَهُمْ فَوْقَ كَتِفِهِ.

وَفِي حَيِّ الْمَوْتَى الَّذِي يَخْتَلَفُ كُلُّ الْاِخْتِلَافِ عَنِ  
الْأَحْيَاءِ الْعَادِيَةِ، إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ مَسَالِكٌ وَشَوَارِعُ كَمَدَنِ  
الْأَحْيَاءِ حَيْثُ لَا يَسْكُنُ هُنَا سِوَى الْمَوْتَى.  
وَرَعْمَ أَنَّ النَّهَارَ كَانَ يَمْلَأُ الْأَرْجَاءَ، وَالشَّمْسُ الَّتِي كَانَتْ  
تَتَوَهَّجُ... إِلَّا أَنَّهُ شَعَرَ بِأَنَّ الظَّلَامَ كَانَ شَدِيدَ الْحِلَاكَةِ.  
وَجَاءَ خَدَمُ الْمَقَابِرِ يَتَسَابِقُونَ عَلَى فَتْحِ الْقَبْرِ لِدَفْنِ  
أَشْجَانٍ فِي نَفْسِ قَبْرِ تَوَأَمَتِهَا وَمَدْفَنُهَا..



كَانَ قَبْرًا مُمِيزًا وَثِيرًا غَيْرَ  
كُلِّ الْمَدَافِنِ الَّتِي أَلْفَاهَا..  
فَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَسْهَلُ مِنَ  
الْعَثُورِ عَلَيْهِ بَيْنَ مَدَافِنٍ وَمَقَابِرِ









وَفَجَعَتْنِي فِيمَنْ أَحَبُّ  
وَمَنْ إِلَيْهِ أَبْتُ سِرِّي  
وَهَدَمْتُ صَرْحًا، لَا أَلُوذُ بغيرِهِ  
وَهَتَكُنْتُ سِتِّي سِرِّي  
وَفَقَدْتُ كَفًّا، فِي الْحَيَاةِ  
يُضِدُّ عَنِّي كُلَّ شَرِّ  
وَتَرَكْتَنِي فِي الْكَائِنَاتِ أَيْنُ  
مُنْفَرِدًا بِأَصْرِي،  
وَأَجُوبُ صَحْرَاءَ الْحَيَاةِ  
أَقُولُ: أَيْنَ تَرَاهُ قَبْرِي؟  
مَاذَا تَوَدُّ مِنَ الْمَعَذِبِ فِي الْوُجُودِ  
بِغَيْرِ رَوْزَرٍ؟  
خُذْنِي فَمَا أَشَقَى الَّذِي يَقْضِي الْحَيَاةَ  
بِمَثَلِ أُمِّ سِرِّي،

( ) أبو القاسم الشافعي